إيليا أبو ماضي

شاعر الحنين... والأحزان

موسوعة أعلام الشعر العربي الحديث

إيليا أبو ماضي

شـاعـر الحنين... والأحزان

إعداد ودراسة: هاني الخير

موسوعة أعلام الشعر العربي الحديث/إيليا أبو ماضي/

شاعر الحنين... والأحزان

إعداد ودراسة: هاني الخير

الطبعة الأولى: ٢٠٠٩.

عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة.

جميع العمليات الفنية والطباعية تمت في:

دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع

يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دار مؤسسة رسلان

للطباعة والنشر والتوزيع

سوريا ـ دمشق ـ جرمانا

هاتف: ٠٩٦٣ ١١ ٥٦٢٧٠٦٠

تلفاكس: ٠٩٦٣ ١١ ٥٦٣٢٨٦٠

ص. ب: ٢٥٩ جرمانا

لا يصير الشاعر شاعراً حقيقياً حتى يستنبط ويبتكر. أما متى يصير فأمر موقوف على قوة شاعريته ومقدار عبقريته... وإن السر في المعاني لا في المباني، فإذا كان المعنى جميلاً مبتكراً ظهر جماله وبانت جدته للعيون. على أن المعنى الجميل يستلزم المبنى الجميل. فما افتتن الناس بالزهرة إلاّ لأنها تجمع إلى الأريج الذكي التكوين الجميل.

إيليّا أبو ماضي

إضاءة

إيليّا أبو ماضي

شاعر الحنين... والأحزان

١٨٨٩ — ١٩٥٧م

يعتبر الشاعر المبدع إيليا أبو ماضي، أحد أبرز شعراء المهجر الشمالي، ومن أكبر الشعراء العرب المعاصرين في القرن العشرين.

ولد في قرية "**المحيدثة**" اللبنانية. من قرى قضاء المتن الشمالي وجارة "**بكفيا**" بحكم الموقع الجغرافي. وهي تمتاز بطبيعتها الخلابة الفاتنة وبأشجارها الباسقة، لا سيما السنديان والصنوبر، وبأوديتها الغافية على حلل سندسية زاهية نضرة. وهي هادئة الموقع بعيدة عن الصخب والزحام وزعيق السيارات والشاحنات.

وبالرغم من أن شاعرنا المرموق من أبناء العصر الحديث، وليس من شعراء العصر الجاهلي، إلاّ أن النقاد والمؤرخين اختلفوا في تحديد سنة ولادته. فجريدة "السائح" المهجرية تذكر أنه ولد عام /١٨٨٩م/. أما الأستاذان محمد قره علي وجورج صيدح فيذكران أنه من مواليد عام /١٨٩٠م/. بينما يرى عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين أن الشاعر من مواليد عام /١٨٩١م/. ويؤكد هذا التاريخ الأديب السوري زهير ميرزا. ويجاريه في هذا الشأن الدكتور عبد المجيد عابدين والأستاذ نجدة فتحي صفوت.

والآن أي هذه التواريخ أقرب إلى الصواب على حد تعبير الأديب طالب زكي طالب مؤلف كتاب "**إيليا أبو ماضي بين التجديد والتقليد**"؟

المرجح أنه العام /١٨٨٩م/، لأسباب منها أن مجلة "**الفنون**" النيويوركية قريبة الصلة بالشاعر فصاحبها "**نسيب عريضة**" "كأبي ماضي" أحد أعضاء الرابطة

القلمية، وهو على اطلاع أكيد على حياة الشاعر ودقائقها. قد يقال إن مجلة "**الفنون**" أعطتنا موجزاً عن حياة الشاعر عام /١٩١٦م/، أي قبل تأسيس الرابطة القلمية بأربع سنوات وقبل ارتباط اسم الشاعر بها وبمؤسسيها، وهذا التساؤل يتداعى حينما نعلم أن جريدة "**السائح**" لسان حال الرابطة القلمية أكدت هذا التاريخ. ويثبت الدكتور "**جورج ديمتري سليم**" رسالة من الشاعر المهجري "**نعمة الحاج**" يقول فيها:

"إيليا أعز صديق وأحب عشير ورفيق لي... وإني متأكد أنه من عمري. فلطالما تذاكرنا بذلك وكلانا ولد سنة ١٨٨٩م هو في شهر أيار "مايو" وأنا في شهر آب "أغسطس"....". وعلى هذا الأساس فالمرجح أن تاريخ ولادة الشاعر هو العام /١٨٨٩م/.

تلقى إيليا أبو ماضي تعليمه الأولي، مبادئ القراءة والكتابة، في مدرسة قريته، ثم هاجر إلى مصر سنة /١٩٠٠م/، وبقي في الإسكندرية مدة /١١/ سنة، وهناك نهل من معين التراث العربي الشيء الكثير، فقرأ بمحبة ونهم دواوين الشعراء العرب عبر عصورهم المختلفة، وكان على تواصل مباشر مع مشاهير الأدباء المصريين، الذين كانوا يسعون إلى نبش الكنوز الفكرية المنسية في المكتبات العامة والشخصية، وعرضها من جديد في حلة نضرة قشيبة خالية من أخطاء الناسخين.

لقد توجه الشاعر إلى مصر، بعد أن ضاقت سبل الرزق به وبعائلته في قرية "**المحيدثة**". فقد كان والده رقيق الحال، منصرفاً إلى عمل ريفي يمارسه أهل تلك المنطقة في ذلك الزمن، وهو تربية دود القز والعناية بأشجار التوت. وكان هذا الأب المكافح يعيل أسرة مكونة من ستة أولاد على التوالي وحسب أعمارهم: **مراد، إيليا، متري، طانيوس، إبراهيم، وأوجني**، بالإضافة إلى **زوجته سلمى**. وأوجني صغرى أبنائه تعاطت مهنة الخياطة. وهذا يشير إلى فقر العائلة وحاجتها الماسة إلى المال. ولذلك هاجر الأبناء برمتهم إلى مصر والولايات المتحدة الأمريكية تاركين الأخت مع والديها في لبنان على حد تعبير الأديب الباحث طالب زكي طالب.

وفي الإسكندرية افتتح دكانة صغيرة لبيع الدخان، وظل يمارس هذه المهنة الهامشية حتى غادر إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

والحق يقال... فإن موهبته الشعرية تفتحت في مصر، وكان للأديب اللبناني أنطون الجميّل المقيم في القاهرة، الفضل في اكتشاف هذه الموهبة ورعايتها، حيث نشر له في مجلته الشهيرة "الزهور" العديد من قصائده التي تمثل بواكير شعره. وفيما يلي هذه الشهادة الأدبية التي وردت في مجلة "الزهور" عن إيليا وشعره:

"أديب أوحي إليه الشعر وحياً فقاله عفو الخاطر، وأرسله سهلاً رائقاً، سائغ البيان، صافي الديباجة. لم يتلق آداب اللغة في مدرسة، ولا أخذ قواعد النظم عن أستاذ أو عن كتاب، فهو أديب بالفطرة وشاعر بالسليقة".

وفي الاسكندرية أصدر ديوانه الأول الذي حمل اسم "**تذكار الماضي**"، ومما يسترعي الانتباه بعد أن اطلعنا على قصائد هذا الديوان، غياب قصائد المدح عنه، فليس فيه قصيدة واحدة في مدح أي إنسان، سواء أكان من المهاجرين "**الشوام**" أم من الأمراء المصريين، لأنه يزدري من يبيع ماء وجهه في سوق النفاق، ليحصد بعض المكاسب المالية. وتجدر الإشارة هنا.. إلى أن الأديب الخالد **جبران خليل جبران**، هو الذي كتب بقلمه المبدع مقدمة ديوان إيليا الثاني قائلاً:

"الشعر عاطفة تتشوق إلى القصيّ غير المعروف فتجعله قريباً معروفاً. وفكرة تناجي الخفي غير المدرك فتحوله إلى شيء ظاهر مفهوم.

أما الشاعر فهو مخلوق غريب ذو عين ثالثة معنوية ترى في الطبيعة ما لا تراه العيون، وأذن باطنية تسمع من همس الأيام والليالي ما لا تعيه الآذان.

ينظر الشاعر إلى وردة ذابلة فيرى فيها مأساة الدهور، ويشاهد طفلاً راكضاً وراء الفراشة فيرى فيه أسرار الكون، ويسير في الحقل فيسمع أغاني البلابل والشحارير، وليس هناك شحارير ولا بلابل، ويمشي في العاصفة فيخوض غمار معركة هوجاء بين جيوش الأرض وفيالق السماء. يقف الشاعر أمام شلال فيقول:

فيـــه مـــن الـــسيف الـــصقيل بريقـــه

ولـــــه ضـــجيج الجحفـــل الجـــرار

أبـــــداً يـــــرش صـــــخوره بدموعـــــه

أتـــــراه يغـــــسلها مـــــن الأوزار

ويرفع عينيه ليلاً نحو السماء فيصرخ:

أبكـــــي وتـــــصغي إلى بكـــــائي

يـــا رب هـــل تعـــشق النجـــوم

ويلتقي بحبيبه فيهمس:

وددت الإفاضـــــة قبـــــل اللقـــــاء

فلمـــــا لقيتـــــك لم أنـــــبس

وبـــــت وإيـــــاك في معـــــزل

كـــــأني وإيـــــاك في مجلـــــس

يرى الشاعر ويسمع كل هذه الأمور من خلال برقع الحياة، وأنت واقف بجانبه لا ترى غير مظاهرها الخارجية، ولا تسمع سوى أصواتها المشوشة فتقول في ذاتك: يا له من خيالي مجنون يتمسك بخيوط العنكبوت، ويصعد نحو النجوم على سلم مصنوع من أشعة القمر ويحاول أن يملأ جرته من ندى الصباح بل من السراب. أي فالشاعر يصعد إلى الملأ الأعلى ولكن على سلم أقوى وأبقى من الجبال ـ يصعد بعزم الروح، ويتمسك بحبال غير منظورة ولكنها أمتن من سلاسل الحديد ـ يتمسك بحبال الفكر ويملأ كأسه من عصير أرق من ندى الفجرـ يملأها من

خمرة الخيال، والخيال هو الحادي الذي يسير أمام مواكب الحياة نحو الحق والروح.

الشاعر يفعل كل ذلك وأنت على الأرض لا تستطيع المسير إلا على قدميك. ولا الصعود إلاّ على سلم من خشب. ولا السكر إلاّ من عصير العنب، ولا المسرة إلاّ بالربح، ولا الألم إلاّ بالخسارة.

الشاعر طائر غريب يفلت من الحقول العلوية ولكنه لا يبلغ الأرض حتى يحن إلى وطنه الأول فيغرد حتى في سكوته، ويسبح في فضاء لا حدّ له ولا مدى مع إنه في قفص.

وإيليا أبو ماضي شاعر وفي ديوانه هذا سلالم بين المنظور وغير المنظور، وحبال تربط مظاهر الحياة بخفاياها وكؤوس مملوءة بتلك الخمرة التي إن لم تشفها تظل ظمآناً حتى تمل الآلهة البشر فتغمرهم ثانية بالطوفان".

وفي صيف عام /١٩١١م/ ضاقت مصر به على رحابتها فتركها عائداً إلى لبنان، ذلك الوطن الذي ظل يهواه ويحن إليه طوال فترة اغترابه، وحين وصل إلى وطنه لاقى فيه خلال شهر صنوف العذاب والمضايقات، مما دفعه على الهجرة الثانية من لبنان التي خاطبها بقصيدته الشهيرة "**وداع وشكوى**"، وأبحر قاصداً هذه المرة الولايات المتحدة الأمريكية، علّه يجد في الغرب من الحرية والعدالة والغنى ما ينسيه الشرق وظلمه، على حد تعبير الأديب طالب زكي طالب الذي نستمد من كتابه القيم الذي أشرنا إليه هذه المعلومات الموثقة:

وحط رحاله في "**سنسناتي أوهايو**" وهي ولاية داخلية، اشتهرت بجمال مناظرها وروعة طبيعتها، وهناك راح يمارس التجارة مع أخيه الأكبر "**مراد**" وقد كان قسم وقته بين العمل والنظم الشعري، وبقي في تلك الولاية أربع سنوات في شبه عزلة، ولكنه كان يختزن الكثير من الأحاسيس والتطلعات والتأملات، ويمر بالتجارب النفسية المتعددة، ويطالع ما يصل إلى يديه من آثار أدبية ويطلع على ما يجول في العالم الجديد من حركات اجتماعية وإصلاحية واتجاهات روحية ويتمثلها في صمت واستقرار، وكانت الولايات المتحدة في تلك الفترة تقف على عتبة نهضة

شعرية رائعة لم يسبق أن عرفت لها مثيلاً في تاريخها. وقد تأثر أبو ماضي بهذه الحركة فتراه يترجم الكثير من القصائد الأمريكية إلى العربية ويضمها فيما بعد إلى دواوينه. وسرعان ما نسي شاعرنا التجارة وشجونها ولغة الأرقام الصماء، وانغمس انغماساً كلياً بالأدب والحياة الأدبية ودفعه هذا إلى ترك العمل في التجارة، بعد أن أخفق في التوفيق بينها وبين الأدب.

ورأى أن الإقامة في "**سنسناتي أوهايو**" لن تؤمن له ما يبتغيه أو يطمح إليه، فراح يفتش بهمة عالية عن محيط أوسع فعاد إلى الترحال، وحطت به عصا الترحال هذه المرة في "**نيويورك**" سنة /١٩١٦م/، وكانت الجالية العربية في هذه المدينة أكثر عدداً منها في أي مكان آخر. كما أن سبل العيش فيها متوفرة ومفتوحة. وقد اتجه في "**نيويورك**" إلى بلاط صاحبة الجلالة: الصحافة فرأس تحرير "**المجلة العربية**" ثم تركها ليسهم في تحرير مجلة "**الفتاة**" التي كان يصدرها السيد شكري البخاش، وتحول بعد ذلك ليعمل في تحرير مجلة "**مرآة الغرب**" لصاحبها نجيب دياب منذ العام /١٩١٨م/ حتى العام /١٩٢٨م/، وتزوج ابنته "**دوروثي**"، فأنجبت له "**رتشرد**" و"**إدوارد**" و"**روبرت**"، وظلت إلى جانبه حتى وفاته، وقد قضى عشر سنوات يكتب وينقح في هذه المجلة وتحسن وضعه المالي وأحواله العامة. ويعتقد بعض الدارسين أن لزواجه علاقة بتحسن أحواله المالية، فقد قيل إنه كان وليد مصلحة مادية...

وفي نيسان "أبريل" عام /١٩٢٩م/ أسس مجلة "**السمير**" نصف شهرية، وحولها بمجهوده إلى جريدة يومية ظل يصدرها، بانتظام، حتى جاد بنفسه الأخير. وقد أسهمت هذه المجلة إسهاماً هاماً في حياته الفكرية، لأنه اتخذها منبراً يعرض من فوقه الكثير من القضايا الأدبية والاجتماعية والسياسية. وكانت "**السمير**" على اتصال بالأحداث الشرقية، فلم ينس صاحبها لبنان والشرق العربي بل كان يراقب أحداثهما عن كثب ويوليهما اهتمامه البالغ.

وفي نيويورك كانت حياته الأدبية خصبة جداً فأصدر فيها دواوينه الشعرية الثلاثة: "**الجداول**" و"**الخمائل**" و"**ديوان إيليا أبو ماضي**". وانخرط منذ العام

/١٩٢٠م/ في صفوف الرابطة القلمية، التي كان من أبرز مؤسسيها: جبران خليل جبران (عميدها)، وميخائيل نعيمة (مستشارها)، ووليم كتسفليس (خازنها). أما الأعضاء فهم: ندرة حداد، إيليا أبو ماضي، وديع باحوط، رشيد أيوب، الياس عطا الله، عبد المسيح حداد، ونسيب عريضة.

وعهد إلى الأستاذ ميخائيل نعيمة بوضع قانون للرابطة، فدبج مقدمة تبين روح الرابطة ومراميها، وكان من المقدمة هذه النبذ التي لا تزال دستوراً صحيحاً من دساتير الأدب القوي:

"ليس كل ما سطر بمداد على قرطاس أدباً، ولا كل من حرر مقالاً أو نظم قصيدة موزونة بالأديب، فالأدب الذي نعتبره هو الأدب الذي يستمد غذاءه من تربة الحياة ونورها وهوائها. والأديب الذي نكرمه هو الأديب الذي خص برقة الحس ودقة الفكر وبعد النظر.... بيد أننا إذا ما عملنا على تنشيط الروح الأدبية الجديدة، لا نقصد بذلك قطع كل علاقة مع الأقدمين فبينهم من فطاحل الشعراء والمفكرين من ستبقى آثارهم مصدر إلهام لكثيرين غداً وبعد غد، غير أننا لسنا نرى في تقليدهم سوى موت لآدابنا، لذلك فالمحافظة على كياننا الأدبي تضطرنا للانصراف عنهم إلى حاجات يومنا ومطالب غدنا، وحاجات يومنا ليست كحاجات أمسنا".

وأصبح أبو ماضي شاعر الرابطة القلمية الأول وربما أمير شعراء المهجر، بل وصل الأمر بالشاعر العراقي الكبير أحمد الصافي النجفي (نزيل دمشق)، أنه أطلق على الشاعر إيليا لقب أمير الشعراء العرب. يقول الصافي:

سألتني الشعراء أين أميرها؟
فأجبت "إيليا" بقول مطلق

قالوا وأنت فقلت: ذاك أميركم
فأنا الأمير لأمة لم تخلق

لقد كان إيليا شاعر المعاني وليس المباني، مثله مثل الصافي، وهذا ما يفسر سر إعجابه الشديد به.

وفي العام /١٩٤٨/ زار إيليا أبو ماضي لبنان بعد انقطاع طويل، ليمثل مع الصحافي "**حبيب مسعود**" صاحب مجلة "**العصبة**" في البرازيل صحافة المهجر، وكان موضع تكريم وحفاوة، فقد سارع اللبنانيون للاحتفاء به، وقد منحته الحكومة للبنانية وسامي الأرز والاستحقاق، كذلك أقيمت له في دمشق حفلات التكريم، وعلق السيد هاشم الأتاسي رئيس الجمهورية العربية السورية، على صدره وسام الاستحقاق الممتاز سنة /١٩٤٩/ وألقى الشاعر في هذه المناسبة قصيدة مطلعها:

حيّ الشآم مهنداً وكتابا

والغوطة الخضراء والمحرابا

وعاد إلى المهجر.. بعدما كحل عينيه برؤية وطنه ومرابع صباه، وفي سنة /١٩٥٧/ توقف الخافق المعذب عن الحركة، وسقط القلم - الذي كان يخط أروع الشعر وأصدقه - من بين أنامله، وانتقلت روحه إلى باريها.

وإذا كانت لنا من كلمة أخيرة.. فإن شعر إيليا أبو ماضي، قد مرَّ بثلاثة أدوار: دور التقليد، ودور القلب، ودور العقل، وهي أدوار متداخلة. ففي دور التقليد، لا يدل الشعر على شخصية أبي ماضي الحقيقية، ولا على نفسيته الاجتماعية ولا حتى على مشاعره الرومانتيكية. أما دور القلب فيشمل كل شعر قاله، وهو غارق في غمرة النزعة الرومانتيكية، مسحور بالأحلام والرؤى. فإذا زحف إليه الأثر العقلي، وأخذت الأشياء تفقد تلاوينها الحالمة، ورؤاها الخلاّبة، وقع الشاعر في مسقط ضوء واضح من المفهومات الاجتماعية، إلاّ أن هذا الدور نفسه لم يكن خاضعاً لسيطرة ذهنية، بمقدار ما كانت حدة العاطفة تملك زمامه وتتحكم في توجيهه.

أمـا الناقـد اللبنـاني المعـروف مـارون عبـود، فيتنـاول في كتابـه "**مجـددون ومجترون**" شعراء كبـاراً وناشئين، فقـال فيهم كلماتـه الناريـة وإن كـانـت جارحـة بمحبـة، تلـك المحبـة الـتي توجـع أحيانـاً، فـلا يتنكـر لهـا إلاّ مـن يجهـل مـارون عبـود وأسلوبه التهكمي، أو من يضيق صدره بكلمة حق تُقال من فوق السطح.

مـاذا يقـول ناقـدنا الكبير عـن شـاعرنا إيليـا أبـو ماضـي؟! إلـيكم مـا خطّـه قلمـه الرشيق:

"وهذا إيليا أبو ماضي يحـاول التجديد، وموميـاءات الأقدمين تغويـه بمظـاهر لا تعـد، كـأنهـا الـشياطين في أسـطورة القـديس أنطونيـوس (راجـع روايـة فلـوبير) فيرصفها بـين عـذاراه الطريئـة، فتبـدو كحصيات فسيفساء في جـدار جلّ مـا فيـه حديث، خذ مثلاً قصيدته الـتي يختم كـل مقطـع منهـا ب "لم أجد أحـداً"، ابحـث لتعلم من أي شاعر قديم استعار هذه "اللازمة"

ثم خذ قصيدة أُخرى سينية عنونت بهذا الشطر "**وبلادنا متروكـة للنـاس**" فـتراه فيهـا يشبـه كـامرىء القـيس "**بمسابح الرهبـان في الأغلاس**"، كـأنـه نـسي أن زمانـا كـانت فيه الرهبان مصابيح تضاء في الأغلاس قد انقضى عهده... ثم لا يحجـم إيليـا أن ينفحنا بالكذبذب، ويأخذ تعبير الشاعر الأموي عينه "**حز مواسي**" ليسد به ثلمة قافية في القرن العشرين.

ويـستعمل هـذا المثـل، محـشوراً، فيقـول: وضـربت أخماسـي إلى أسداسـي. ومحصول كلامـه دق الكـف بـالكف للتحسر، ولـيس هـذا مفـاد المثـل العربـي: ضربت أخماسا إلى أسداس، إلاّ إذا كـانت يد من يقوله سداسية.

وفي قصيدته "**الفراشة**" يخاطبها قائلاً:

وكلمـــا نـــورت في الـــسفح زنبقـــة

حثثـــت للـــسفح مـــن شـــوق مطايـــاك

ذكّرني تعبير إيليا هذا بقول المنفلوطي لفرح أنطـون، حـين عـاد مـن أمريكـا، أوحين ذهب إلى أمريكا ـ لا أذكر جيداً:

إن كنـــت لا تبغـــي لنفـــسك راحـــة

فـــأرح مطيـــك والـــدنى وبنيهـــا

فعقّب فرح أنطون المجدد على بيت المنفلوطي هذا بقوله: إننا ركبنا الباخرة فلانة فلا خيل ولا نياق.

فنصيحتي الأدبية إلى الشاعر "**إيليا أبو ماضي**" أن ينقي شعره من هذا الزؤان، من هذه التعابير البائخة، ويبدع تعابير تليق بشعره العصري، فالشعر موسيقى أولاً، والنغم المبتذل لا يهز النفوس".

وبالرغم من هذا الرأي النقدي الحاد يبقى "**إيليا أبو ماضي**" شاعر المهجر الأكبر دون منازع، تشهد له بذلك أشعاره الجميلة في الغزل، والحكمة والتأمل، والحنين، والإشفاق على بني الإنسان في الشرق وفي الغرب المتوحش في هذه الأيام.

إيليّا أبو ماضي
ملامح عامة... وخلاصة تجربة رائعة

شد العمق إلى الضوء، وربط الأغوار بالقمم.

أفقي مدى العين، وعمودي حتى القرار، كأن خطوط الزمن التقت عنده!

إيليا أبو ماضي، الشاعر المحور، له على كل مظهر من الحياة يد، وفي كل منحى من النفس منتجع.

في تاريخ أعوامنا سنة ألف وثماني مائة وتسع وثمانين سنة شعرية غنم منها لبنان الكثير.

من قرية المحيدثة، إلى الإسكندرية، إلى أوهايو، إلى نيويورك مدينة المدن، وصل الرجل أسفاره.

أما الشاعر، فمن الجبل، إلى المحيط، إلى الزمان، إلى ما بعده، حسب تعبير الأديب الناقد أنطون قازان في مقال متميز له نشره في مجلة "**الغربال**" اللبنانية.

لم تتح له الأيام أن يتقن العلم، فسلخ من المدرسة وهو في الحادية عشرة، وذهب إلى تحصيل رزق. وهناك في متجر وضيع في الإسكندرية، راح ذلك الولد الذي "**دنياه كانت ههنا**" يصارع الزمان، يملأ فراغه بما تيسر من مطالعات. إلى أن اكتشفه فقيد الصحافة والأدب أنطون الجميل، فنشر له أولى قصائده في "الزهور".

وقبل أن يبلغ العشرين كان له ديوان "**تذكار الماضي**" ويضيف الأديب الناقد أنطون قازان:

قيمة هذا المجموع الشعري أنه تأكيد لوعد وتبشير بشاعرية. لكن تلك الموهبة الأصيلة لم تكن إلاّ لإلحاح في البعد وإصرار على الكشف في غياهب

النفس والإنسانية، فما لبثت أن انفتحت أمام عينيه آفاق ودنيوات، وإذا به شاعر النفس والحياة بكل ما في الكلمتين من شمول واتساع.

انتقل إلى نيويورك سنة ألف وتسعمائة وست عشرة، بعد الإسكندرية وأهايو، فتعرف إلى جبران وانضم إلى الرابطة القلمية. وبعد سنوات ثلاث أصدر الجزء الثاني من ديوانه مع مقدمة لجبران.

أنشأ مجلة السمير الشهرية، ثم حولها إلى جريدة يومية. وظل يتسلق القمم حتى بلغ في ديوانه "**الجداول**" ذروة سامقة، أطل منها على عوالم قلما انكشفت لسواه من شعراء زمانه. وعاش من ثم على القمم.

نشر "**الخمائل**" بعد "**الجداول**"، ثم جاء إلى لبنان سنة /١٩٤٨م/، بدعوة من الحكومة اللبنانية لحضور مهرجان الأونسكو، فكان موضع حفاوة الأوساط الأدبية والجهات الحكومية. ثم عاد إلى نيويورك، حيث توفى سنة /١٩٥٧م/.

أما مذهب إيليا فمحبة شاملة وابتسام دائم. يشيع في نتاجه الشعري روح متفائل بنّاء نتيجة إيمانه بجمال الحياة.

قدّس الحب، وقد شغله عمره، فهو لا يمكنه أن يتصور الدنيا بلا أحباب.

أرقته الحقيقة فسعى إليها، وفكّر طويلاً في مصدر الحياة وفي الموت وما وراءه، فرسم علامات استفهام ضخاماً ولا سيما في "طلاسمه" بأسلوب شعري رائع.

صوّر الحيرة أروع تصوير، وتمكن بمهارة أن يوفق بين الفكرة والصورة.

على أن ما يمتاز به أبو ماضي بصورة خاصة، قدرته الفائقة على نقل تعبيره هو كإنسان إلى تعبير كل إنسان.

لجأ إلى الأسطورة والرمز للتعبير عن إحساسات مجتمعه، وحقائق واقعه فتجاوب تجاوباً تاماً وروح أمته ونزعاتها.

جدّد دون تهور، وحافظ على خصائص الشعر الأصيلة. لقد غيّر في تتبع الأوزان وبدّل بالقوافي وتصرف ضمن حدود معينة بكثير من المقررات القديمة باعثاً في كل ذلك روحاً مجدداً.

القصيدة عنده موضوع كامل، وكل منسق على ارتباط وتماسك.

أدخل الحوار إلى قصائده فأسعفه على بلوغ كثير من غاياته.

أما من حيث مصادر ثقافته، فقد نلمح في أعماق عطائه بعض جذور تتلاقى وشكوك المعري في شعره التأملي وأسئلته الكونية، ولهو النواسي في شعره المجوني، وبعض عباقرة الغرب المجددين. على أن كل ذلك يضيع في اتساع ذاتيته ومدى أصالتها. إنه شاعر الفكرة.

كل قصيدة من قصائده تعبر عن فكرة أساسية بنى عليها موضوع شعره. فهو لا يبث عاطفة لمجرد بثها، ولا يرسل تنهدة ليفرج عن نفسه، ونظنه في معظم شعره لا ينظم تحت تأثير عاطفة، بل تخالجه فكرة، فيرسم موضوعاً ويخرج قصيدة.

"**فالعنقاء**" يمثل فيها السعادة و"**السجينة**" تصور أنانية الناس وجور القدر ومدى التفاوت في المكافأة، و"**الضفادع والنجوم**" يصوّر فيها الغرور، و"**التينة الحمقاء**" تفسر مساوئ الأنانية وعدم التعاون، و"**الحجر الصغير**" توضيح لضرورة التعاون الاجتماعي حتى في أتفه الأشياء.........

وينهي الأديب الكبير أنطون قازان تحليله الموفق بما لفظه:

ـ وعلى الجملة.. فإن إيليا قمة عالية في الشعر العربي الحديث. حسبه أنه شاعر الفكرة، وباعث الموضوع، وحامل الواقعية إلى مستوى شعري عال عمق دون غموض واتسع دون تسيب، وأشرق دوماً على إنسانية شاملة، بأسلوب جميل. إنه مجمل شعري رائع.

هجرة النصوص بين قصيدتين

يذكر الأديب المعروف محمد عبد المنعم خفاجي، في كتابه الممتع (قصة الأدب المهجري)، الصادر في القاهرة، ملابسات قصيدة (الطين)، التي اقتبس إيليا معانيها العامة من قصيدة بدوية، بما معناه:

وقد أثارت قصيدة الطين ضجة عالية، وكان ظهورها مبعث إعجاب شديد في كل مكان.. ومنذ سنوات، وقبل وفاة أبي ماضي كشف الأديب العربي الأردني العلامة روكس العزيزي كشفاً جديداً حول قصيدة الطين، وأيد أن معانيها كلها مأخوذة من قصيدة لشاعر بدوي أردني شعبي، قال روكس العزيزي[1] :

من نحو مائة وعشرين سنة كان يعيش في البادية الأردنية شاعر بدوي اسمه (علي الرميثي) عصر الألم قلبه وألح عليه الفقر على الرغم مما وهب له الله من جَمال النفس وروعة المظهر والشهامة والنجدة، وكان لهذا الشاعر ابن عم يدعى (سالماً)؛ وكأن القدر الإلهي قد اقتطع ما وهب لعلي من الشعور الفياض وجمال الجسم والنفس من رزقه، فعاش علي معدماً إلا من فضائله وخصائله الحميدة.

أما ابن عمه سالم فكان من أغنياء العشيرة ومن وجهائها. وفي أحد الأيام غزا سالم الرميثي عقيداً لعصبة في عدادها ابن عمه علي، وفي أثناء الغارة قتلت فرس سالم وجرح وفر عنه رفاقه إلا ابن عمه علي، فإنه أردفه على فرسه، وهرب به إلى أن أوصله إلى منجاته. وعولج سالم إلى أن شفي من جراحه، فكان يعد نفسه مديناً لابن عمه بحياته، ولم يكن يرد لابن عمه طلباً، إلى أن جرى اتفاقاً أن أحب الرجلان كلاهما فتاةً معروفة في الحيّ بجمالها، فتنازعا بسببها، ولما خيرت الفتاة

١- صـ ٤٩ ـ وما بعدها من كتاب (فريسة أبي ماضي) للأستاذ روكس العزيزي ـ ط ١٩٥٦ م.

اختارت علياً ـ على خصاصته وفقره ـ فحقد سالم على الفتاة وعلى ابن عمه علي وتنكر له.

ولما توفيت الفتاة أملق علي إملاقاً شنيعاً، فرأى أن أفضل وسيلة هي اللجوء إلى ابن عمه سالم، ولا سيما أن سبب الخصام بينهما قد زال، لأن الفتاة واجهت ربها، وفي ليلة كثر ثلجها لم ينتبه سالم إلاّ وابن عمه (علي) في الشق ـ القسم المخصص بالضيوف من بيت الشعر، فلم يلتفت إليه على خلاف ما توجبه تقاليد البادية، ولم يقدّم له طعاماً، فأثر ذلك في نفس علي أعمق تأثير، وعاتب ابن عمه عتاباً تطرق منه إلى الهجاء المر، وذكره بخاتمته، فكانت قصيدته من أروع ما رأينا في شعر البادية، على طول مدارستنا له، وقد التزم الشاعر البدوي في قصيدته هذه قافيتين: واحدة في الصدر، وواحدة في العجز... وكم كانت دهشتنا يوم رأينا هذه القصيدة على إيجازها تحوي أكثر معاني قصيدة الطين للشاعر المهاجر إيليا أبو ماضي، لذا آثرنا أن نروي قصيدة الرميثي ونفسر أبياتها، ونذكر بعد كل بيت ما يناسبه من قصيدة (الطين)، ضاربين صفحاً عن اختلاف الروايات التي ذكرها الرواة، لأنها لا تتعدى الاختلاف في كلمات معينة، أما المعنى والجوهر فواحد:

١- قال الرميثي:

يا أخوي ما احنا فحمة ما بها سنى ولا أنت شمساً تلهب الدو بضياه

الشرح: يا أخي ما نحن فحمة لا جمال فيها ولا أنت شمس تلهب الصحراء بضيائها.

ويقول أبو ماضي:

يا أخي لا تمل بوجهك عني ما أنا فحمة ولا أنت فرقد

٢- وقال الرميثي:

لصار ما تأكل ذهباً يوم تبلى يا أخوي وش نفع الذهب يوم تقناه

الشرح: أي ما دمت لا تأكل ذهباً يوم تموت فما فائدة الذهب الذي تقتنيه إذاً؟

ويقول أبو ماضي:

أنت لا تأكل النضار إذا جعت ولا تشرب الجمان المنضد

٣- وقال الرميثي:

ملبوسك أمن البز تبلاه بلوى مثل الأكفان لميت طال مشحاه

الشرح: ملبوسك من ناعم القماش وثمينه يبلى كأنه أكفان، وتصيبه النكبات كأنه أكفان لميت انقضى على موته زمن طويل.

ويقول أبو ماضي:

أنت في البردة الموشاة مثلي في كسائي الرديم تشقى وتسعد

٤- وقال الرميثي:

المنوه اللي بضميرك تلوى لي مثلها يا شين بالقلب نواه

الشرح: أمنيتك وحبك الحائر في ضميرك لي مثله أيها الرديء النذل أهواها بكل ما في قلبي من إحساس فأي فرق بيننا؟

٥- وقال الرميثي أيضاً:

نحلم حلوماً حلوة يوم نرضى وتمر يوم السعد ما بان ماطاه

الشرح: إن لنا أحلاماً لذيذة متفائلة عندما نرضى عن الحياة، لكن هذه الأحلام تتحول مرارة وعلقماً إذا فارقنا الحظ وتلمسناه فلم نجد آثار أقدامه.

أما إيليا أبو ماضي فقد عبر عن هذين البيتين بأربعة أبيات هي:

لك في عالم النهار أماني ورؤى والظلام فوقك ممتد

وبقلبي كما بقلبك أحلام حسان فإنه غير جلمد

أأماني كلها للتلاشي؟ وأمانيك للخلود المؤكد؟

لا فهــذي وتلــك تــأتي وتمــضي   كـــذويها وأي شـــيء يؤبـــد ؟

٦- ويقول الرميثي معرضاً بجبن ابن عمه ونقص رجولته:

يــوم الرمــاح تناوشــك ليــه تلــوي   والــترف يــوم يفارقــك ليــه تــشهاه

الـشرح: إذا كنـت رجـلاً تـام الرجولـة أيهـا المتغطـرس إيـاك وأن تظهـر الـضعف متلوياً في الحرب يوم تصيبك أطراف الرماح، إذا كنت رجلاً فيه شيء من الإباء لماذا تظهر الشهوة العارمة التي تعمي بصيرتك يرم تفارقك حبيبتك اللطيفة؟

ونرى أبا ماضي يعقد بيتاً في المعنى الذي عبر عنه الشاعر البدوي بنصف بيت قال:

وإذا راعـــك الحبيـــب بهجـــر   ودعتـــك الـــذكرى ألا تتوجـــد ؟

٧- ونرى الرميثي يقول:

ودموعنـا وأيـا الـضحك فيـه سـلوى   متماثلـــة[1] يـــا شـــين لـــصار تـــبلاه

الـشرح: إن دموعنـا تـشبه دموعـك، وضـحكنا يـسبه ضـحكك، لأن فيهمـا سـلوى وتعزية كما يسليك ضحكك، أيها الرديء النذل، أجل إنها تماثله يوم تختبرها.

وأبو ماضي يقول:

أدمـــوعي خـــل ودمعـــك شـــهد   وبكـــائي ذل ونوحـــك ســـؤدد

وابتـــسامي الـــسراب لا ريَّ فيـــه   وابتـــساماتك اللآلـــئ الخـــرد ؟

ونلاحظ أن الشاعر المهاجر قد عقد بيتين كاملين لما عبر عنه الشاعر البدوي في بيت واحد.

٨- وقال الرميثي:

كليتنـــا للـــترب نمـــشي ونحيـــا   لا توهمـك يـا الـضبع نفسك بمـشاه

---

[1]- مثيله.

الشرح: كلنا عائدون إلى التراب فإياك وأن تخدعك نفسك كما تخدع الضبع عن نفسها يوم يدخل عليها الصائد في وجارها ويوهمها أنه لا يريد بها سوءاً إلى أن يجرها من كراعها وهي ساكنة لا تبدي حراكاً...

أما أبو ماضي فيقول:

أنت مثلي من الثرى وإليه فلماذا يا صاحبي التيه والصد؟

٩- وترى الشاعر الرميثي يقول بيتاً في منتهى الروعة:

هذا القمر والشمس والنجم تعلى ومخو مسك مثل الخرابيش تنصاه

الشرح: ها هو ذا القمر، وها هي ذه الشمس وها هي ذه النجوم ترتفع متعالية في قبة السماء تزور بيوت الشعر الحقيرة ـ الخرابيش ـ كما تزور بيتك الفخم ذا الأعمدة الخمسة.

أما أبو ماضي فيعبر عن ذلك بثلاثة أبيات، وهي:

النجوم التي تراها أراها حين تخفى وعندما تتوقد

قمر واحد يطل علينا وعلى الكوخ والبناء الموطد

ألك القصر دونه الحرس الشا كي ومن حوله الجدار المشيد

١٠- ويقول الرميثي:

حيانك اللي سيوفهم نور يلظى ما يمنعون الموت إن جاك معداه

الشرح: إن جماهير أعوانك وأقاربك الذين سيوفهم تومض كأنها النور لا يستطيعون أن يصدوا الموت عنك إذا جاء الوقت الذي يعدو عليك فيه كالذئب.

ويعبر أبو ماضي عن هذا البيت بثلاثة أبيات، هي:

ألك القصر دونه الحرس الشا كي ومن حوله الجدار المشيد

فــــامنع الليـــل أن يمــــدَّ رواقـــاً　　فوقــــه والــــضباب أن يتلبــــد

مرقــد واحــد نــصيبك منــه　　أفتــدري كــم فيــه للــذر مرقــد ؟

١١-　ويقول الرميثي:

الله يخونـك كنـت للنـاس منـصى　　حتـى العـشا في مخومـسك مـا لقينـاه

والــثلج يــذري والــسواعير تــضوى　　هبيــت ننــصى العبــد والله ننــساه

الشرح: قاتلك الله لقد كنت في ما مضى ملجأ للناس فصغرت نفسك وتحولت نذلاً ينسى كل تقاليد العرب النبيلة.

إلى حد أنك بخلت علينا بالعشاء في بيتك ذي الأعمدة الخمسة الذي يدل على الزعامة والكرم!

أجل لم نجد عندك عشاء في أتعس الأوقات يوم كانت الثلوج تتساقط والصواعق تشق الظلام، فقاتلك الله وقبح الله تفكيرنا ما أسخفه، إذ نلجأ إلى عبد حقير مثلك، وقد نسينا أن نلجأ إلى الله مصدر كل خير الذي في يده ناصيتك وفي يده رزقك.

وهذان البيتان نجد شاعرنا المهاجر يعبر عنهما بثلاثة أبيات، يقول أبو ماضي:

ذدتــني عنــه والعواصــف تعــدو　　في طلابــي والجــو أقــتم أربــد

بينمــا الكلــب واجــد فيــه مــأوى　　وطعامــاً والهــر كالكلــب يرقــد

فــسمعت الحيــاة تــضحك مــني　　أرتجــى ومنــك تــأبى وتجحــد

١٢-　ويختم الرميثي قصيدته بقوله:

وهو البيت الرابع عشر من القصيدة، أما الثالث عشر فلا علاقة له بقصيدة الطين:

أنــت ومــا ثمــرت تــسقط وتبلــى　　وتــراب قــبرك ســافي الــريح يــسفاه

الشرح: أنت وكل ما كنزت في حياتك سوف يبلى وأنت سوف تسقط وقبرك تذروه الرياح تنثر ترابه في الفضاء، فانظر إلى هذه الخاتمة المروعة التي انتهى إليها الشاعر البدوي السليم في فطرته.

أما أبو ماضي فيقول في المعنى نفسه:

إن قصراً سمكته سوف يندك   وثوباً حبكته سوف ينقد

وليس بخافٍ أن الشطر الأول من بيت أبي ماضي مأخوذ من قول حكيم المعرة، وأعماها القائل:

كل بيتٍ للهدم ما تبتني الورْ   قاء والسيد الرفيع العماد

ويقول العلاّمة روكس بعد ذلك: فنحن لا ندري كيف يمكن أن يقع هذا التوارد في الخواطر، أو وقوع الحوافر ـ بين الشاعرين، إن لم يكن شاعرنا المهاجر قد اطلع على هذه القصيدة من أبناء لبنان الذين كانوا يتاجرون بين البدو، ويرددون أشعارهم، ويتشبهون في ملابسهم وإطلاق شعر رؤوسهم، وقد تملك بعضهم قرى عند البدو في الديار الأردنية، وكان البدو يدعون هؤلاء اللبنانيين (الحزارمة) لأن أول من جاء إلى الديار الأردنية كانوا جماعة من أهل قرية (حزرم) فدعي كل من جاء من سورية ولبنان فيما بعد (حزرمي) كما دعا أهل مصر كل من طرأ على ديارهم شامياً للسبب نفسه، وإن لم يكن الأمر كذلك، فلسنا ندري كيف نعلل أثر البادية هذا في شعرنا المعاصر، ولا سيما أن الشاعر (علي الرميثي) مات من نحو نصف قرن، وعمره كما قال لنا الرواة الذين شاهدوه أكثر من ثمانين عاماً. لكننا أدخلنا تعديلات على السنين وخفضنا عمره إلى نحو سبعين سنة.

وقد علَّق على هذه السرقة الناقد مارون عبود بقوله:

قصيدة الطين هي من روائع الشاعر المهجري إيليا أبو ماضي، ولعلَّها من الزوايا الضخام التي رست عليها أساس شهرته الذائعة، لكن (روكس بن زائد العزيزي) في حديثه عن أثر البادية في شعرنا المعاصر قد عارض هذه القصيدة الشهيرة بقصيدة قالها الشاعر البدوي. فإذا بمعانيها مأخوذة من ذلك الشاعر الأميّ. الذي

قال قصيدته منذ سبعين عاماً وأكثر. وتكاد تكون قصيدة أبي ماضي طبق الأصل، ولا فرق بينها وبين قصيدة (الرميثي)، إلا أن الرميثي يخاطب شخصاً بعينه، بينما شاعرنا أبو ماضي يخاطب البشر أجمع في شخص إنسان ما، إذ يقول:

نسي الطين ساعة أنه طين حقير فصال تيهاً وعربد

وكسا الخز جسمه فتباهى وحوى المال كيسه فتمرد

يا أخي لا تمل بوجهك عني ما أنا فحمة ولا أنت فرقد

ويقول عبد المسيح حداد في جريدته (السائح) عدد ٧ آذار ١٩٥٥م:

إن قصيدة الرميثي التي كشف الأستاذ العزيزي أن إيليا أبو ماضي أغار على معانيها وسرق منها الكثير فصاغ قصيدة الطين ليس كما ظنّ السارق غير متداولة، فلقد سمعناها مراراً عديدة في إدارة هذه الجريدة منذ زهاء ثلاثة عقود من السنين، وكان الذي رواها لنا، وهو من أشد الناس تعلقاً وإعجاباً بها المرحوم (ظاهر) أبو ماضي والد إيليا أبو ماضي نفسه. وقد كان رحمه الله شاعراً قومياً ومن الذكاء بمكان، وقد أسمعنا الكثير من قصائد بدوية لشعراء آخرين حفظتها ذاكرته، وكنا نترقب أحياناً كثيرة وفوده علينا لنصغي إلى ما يرويه مستأنسين به ومستغربين كيف أن ذلك الشيخ ولع كل ذلك الولوع بشعر البدو.

وكلام عبد المسيح حداد له أكثر من دلالة، وهو لا يخفى على القارئ.

إيليا أبو ماضي

مختارات شعرية

السماء

لا تسلني عنِ السماء فما عنديَ إلا النعوتُ والأَسماء

هي شيءٌ، وبعضُ شيءٍ، وحيناً كلُّ شيءٍ، وعندَ قومٍ هباءُ

*

فسماءُ الراعي كما يتمناها مروجٌ. فسيحةٌ خضراءُ

تلبسُ التبرَ مئزراً ووشاحاً كلما أَشرقتْ وغابتْ ذُكاء

أَبداً في نضارةٍ، لا يجفُّ العشبُ فيها ولا يغيضُ الماءُ

*

وهي عندّ الأُم التي اخترم الموتُ بنيها، وضَلَّ عنها العزاءُ

موضعٌ لا ينالهم فيهِ ضَيْمٌ لا، ولا يدركُ الشبابَ الفناءُ

وكذا يُولدُ الرَّجاءُ من اليأسِ إذا ماتَ في القلوبِ الرجاءُ

*

وهـــي عنـــدَ الفقـــيرِ أرضٌ وراءَ الأُفـــقِ، فيهـــا مـــا يـــشتهي الفقـــراءُ

لا يخـــافُ المثـــريْ، ولا كلبـــهُ الـــضاري، ولا لامـــرئٍ بـــهِ اســـتهزاءُ

وهـــي عنـــدَ المظلـــومِ كهـــذي الأرضِ لكـــن قـــد شـــاعَ فيهـــا الإخـــاءُ

يجمـــعُ العـــدلُ أهلَهَـــا في نظـــامٍ مثلمـــا يجمـــعُ الخيـــوطَ الـــرداءُ

لا ضـــعيفٌ مـــستعبَدٌ، لا قـــويٌّ مـــستبِدٌ، بـــلْ كلـــهمْ أَكفـــاءُ

كـــلُّ شـــيءٍ للكـــلِّ ملـــكٌ حـــلالٌ، كلُّ شيء فيها كما الكلُّ شاءوا

*

وهـــي عنـــدَ الخليـــعِ أرضٌ تمـــيسُ الحـــورُ فيهـــا، وتـــدفق الـــصهباءُ

كـــلُّ مـــا الـــنفسِ، تـــشتهيهِ مبـــاحٌ لا صـــدودٌ، لا جفـــوةٌ، لا إبـــاءُ

أكـــبرُ الإثـــمِ قولـــةُ المـــرءِ هـــذا الأَمـــرُ إثـــمٌ، وهـــذهِ فحـــشاءُ

لـــيسَ بـــينَ الـــصَّلاحِ والـــشرِّ حـــدٌ كالـــذي شـــاءَ وضـــعهُ الأَنبيـــاءُ

وَإذا لم يكـــنْ عَفـــافٌ وَفِـــسْقٌ لم تكـــنْ حِـــشْمَةٌ ولا اســـتحياءُ

*

كـــلُّ قلـــبٍ لَـــهُ الـــسماءُ الـــذي يهـــوى، وإنْ شـــئتَ كـــلُّ قلـــبٍ سمـــاءُ

صُـــوَرٌ في نفوســـنا كائنـــاتٌ ترتـــديها الأَفعـــالُ والأَشـــياءُ

ربَّ شـــيءٍ كـــالجوهرِ الفَـــرْدِ فـــذٍّ عدَّدتـــهُ الأغـــراضُ والأهـــواءُ

كـــلُّ مـــا تقـــصرُ المـــداركُ عنـــهُ كـــائنٌ مثلمـــا الظنـــونُ تـــشاءُ

الكبرياء خلة الشيطان

لِـيَ صـاحبٌ دَخَـلَ الغـرورُ فـؤادَهُ ... إنَّ الغـرورَ أُخـيّ مـن أَعـدائي

أسـديتهُ نُـصحي فـزادَ تماديـاً ... في غيِّـهِ وازدادَ فيـهِ بلائـي

أَمسى يسيءُ بـيَ الظنونَ ولم تسؤ ... لـولا الغـرورُ ظنونُـهُ بـولائي

قد كنتُ أَرجو أَن يُقيمَ على الولا ... أَبـداً، ولكـنْ خـابَ فيـهِ رجـائي

أَهـوى اللقـاءَ بـه ويهـوى ضـدَّهُ ... فكأَنمـا المـوتُ الـزؤامُ لقـائي

إنـي لأَصـحبهُ علـى علاّتـه ... والبـدرُ مـن قِـدَمٍ أخـو الظلمـاءِ

يـا صـاحِ إنَّ الكـبرَ خُلْـقٌ سـيءٌ ... هيهـاتِ يوجـدُ في سوى الجهـلاءِ

والعجـبُ داءٌ لا ينـالُ دواؤُهُ ... حتـى ينـالَ الخلـدَ في الـدنياءِ

فـاخفضْ جناحَـكَ للأَنـامِ تَفُـزْ بهـمْ ... إنّ التواضـعَ شـيمةَ الحكمـاءِ

لـو أُعجـبَ القمـرُ المـنيرُ بنفسـهِ ... لرأيتـهُ يهـوي إلى الغـبراءِ

نار القرى

روحـي الـتي بـالأَمسِ كانـت ترتـعُ ... في الغـابِ مثـلَ الظبيـة القمـراءِ

تقتــاتُ بــالثمرِ الجــنيِّ فتــشبعُ ... ويبـــلُّ غلّتهـــا رشـــاشُ المـــاءِ

نظـرتُ إليـكِ فأَصـبحتْ لا تقنـعُ ... بالمـــاءِ والأفيـــاءِ في الغـــبراءِ

تـصغي وتُنـصتُ، والحمامـةُ تـسجع ... إصــغاؤها لــك لــيسَ للورقــاءِ

ناديتِهَـــا، فلـــها إليـــكِ تطلَـــعُ ... هـذا التطلـعُ كـانَ أصـلَ شـقائي

جنَّحـتني كيمـا أَطـيرَ فلـم أَطـرْ ... هيهـاتِ إنـك قـد طويـتِ سمـائي

*

قـد كـان يـسبيني الجمـالُ الرائـعُ ... حتـى لَمحْتُـكِ فهـو لا يـسبيني

عـصفتْ بـصدري للـيقينِ زوابـعُ ... ثلَّــتْ عــروشَ تــوهمي وظنــوني

فأنـا عَلـى مـا ضـاعَ مـنيَ جـازعُ ... إن الــذي قــد ضـاع جـدٌّ ثمــينِ

لـولاكِ مـا مـاتَ الخيـالُ اليـافعُ ... أفتعجــبينَ إذا كرهــتُ يقــيني

هـذا صـنيعك بـي، فمـا أَنـا صـانعُ؟ ... قـد شـاءَ بحـرُكِ أَن تـضلَّ سـفيني

جــرَّدتِ هــذا الطــينَ مــن أَوهامِــهِ　　　وكــبرتِ عــن قــارورةٍ مــن طــينِ

*

كيف الوصولُ إليكِ، يا نارَ القرى،　　　أَنا في الحضيضِ وأنتِ في الجوزاءِ

لـي ألـفُ باصـرةٍ تحـنُّ كمـا تـرى　　　لكــنَّ دونــكِ أَلــفُ أَلــفِ غطــاءِ

لـو مِـنْ ثـرًى، مزَّقتهـا بيـدِ الثـرى،　　　لكنهـــا سُـــجُفٌ مـــن الأضـــواءِ

ســـاءَلتُ قلـــبي إذ رأى فتحيَّـــرا　　　مـاذا شـربتَ فمـدتَ؟ قـال: دمـائي

يـا ليتـهُ قـد ظـلَّ أعمـى كـالورى　　　فلقـدْ نعمـتُ، وكـانَ في ظلمـاءِ

قـد شوشـتْ كـفُّ النهـارِ سـكينتي　　　يـــا هـــذه، ردّي إلـــيّ مـــسائي

*

أمـــسيتُ حـــينَ لمـــستني بيـــديكِ　　　لـــي ألـــفُ باصـــرةٍ وأَلـــفُ جنـــاحِ

ولمحـــتُ نـــارَ الـــوحيِ في عينيـــكِ،　　　والـــوحيُ كـــانَ سُـــلافةَ الأَرواحِ

فنــشرتُ أَجــنحتي وحمــتُ عليــكِ　　　متوهمـــاً أَنـــي وجـــدتُ صـــباحي

قــد كــانَ حتفــي في الــدنوِّ إليــكِ　　　حتــفُ الفراشــةِ في فَــمِ المــصباحِ

فــسقطتُ مرتعــشاً علــى قــدميكِ　　　أَلنــارُ مهــدي والــدخانُ وشــاحي

يا ليتَ نوركِ حين أَحرقني انطوى　　　فعلـى ضـيائِكِ قـد لمستُ جراحـي

*

أنت

مَهْبَطَ الـوَحي مَطْلَـعَ الأَنبيَـاءِ كَيـفَ أَمـسَيتِ مَهـبِطَ الأَرزَاءِ؟

فِي عُيُـونِ الأَنَـامِ عَنـكِ نُبـوٌّ لم يَكُـنْ فِي العُيُـونِ لَـو لَـم تُـسائي

أنـتِ كـالحُرَّة الـتي انْقَلَـبَ الدَّهْـ ـ ـرُ عَلَيهـا فأَصـبحتْ فِي الإمـاءِ

أنـتِ كـالبُرْدةِ المُوَشَّـاةِ أبلَـى الـ ـ ـطَّيُّ والنَّـشْرُ مَـا بهـا مِـن رُوَاءِ

أنـتِ مِثـلُ الخَميلَـةِ الغَنَّـاءِ عُرِّيـتْ مِـنْ أوراقهـا الخَـضراءِ

أنـتِ كاللَّيـثِ قَلَّـمَ الـدَّهْرُ ظُفرَيْـ ـ ـهِ وأحْنَـى عَلَيـهِ طُـولُ الثَّـواءِ

أنـتِ كالـشَّاعِرِ الـذي أَلِـفَ الوِحْـ ـ ـدَةَ... فِي مَحْفَـلٍ مِـنَ الغَوغَـاءِ

أنـتِ مِثـلُ الجَبَّـارِ يرسُـفُ فِي الأَغـ ـ ـلالِ فِي مَـشْهَدٍ مِـنَ الأَعـداءِ

لَـوْ تَـشائين كنـتِ أَرْفَـهَ حـالاً أَوَ لَـستِ قَـدِيرةً أَن تـشَائي

أنـا مَـا زلـتُ ذا رَجـاءٍ كـثيرٍ وَلَـئِنْ كنـتُ لا أُرَى ذا رَجـاءِ

قَـد بَكـى التَـارِكُوكِ مِنـكِ قُنُوطـاً فَبَكَـى السَاكِنُوكِ خَـوفَ التَّنَـائي

كُثْـرَ النَّـائِحونَ حَولَـكِ حتَّـى خِلْـتُ أَنـي فِي حَاجَـةٍ للعَـزَاءِ

بَــذلوا دَمعَهُــمْ وصُــنتُ دُمــوعي إنَّمــا اليائِــسُونَ أَهــلُ البُكــاءِ

لَــوْ تُفيــدُ الــدُّموعُ شــيئاً لأحيــتْ كــلَّ عَــافٍ مَــدامِعُ الــشُّعَرَاءِ

أَنــتِ في حاجَــةٍ إلى مِثْــلِ (موسَــى) لــستِ في حَاجَــةٍ إلى (أَرْمِيَــاءِ)

*

مُقلَـةَ الـشَّرقِ! كَـمْ عَزيـزٌ عَلَينـا أَنْ تكـــوني رَمِيَّـــةَ الأَقـــذاءِ

شَـــرَّدَتْ أهْلَـــكِ النَّوائِـــبُ في الأَرْ - ضِ وكـــانوا كـــأنجُمِ الجَـــوزاءِ

وإذا المَــرءُ ضَــاقَ بــالعَيشِ ذَرْعَــاً رَكِــبَ المَــوتَ في سَــبيلِ البَقَــاءِ

لا يُبــــالي مُغَـــرّبٌ في ذويـــهِ أنْ يــــراهُ ذَووه في الغُربـــــاءِ

*

أَرضَ آبائنــــا عَليــــكِ سَــــلامٌ وســــقَى اللّهُ أنفُــــسَ الآبــــاءِ

مــا هَجَرْنــاكِ إذ هَجَرنــاكِ طَوعــاً لا تَظُنِّـــي العُقـــوقَ في الأَبْنَـــاءِ

يُـــسْأَمُ الخُلـــدُ والحَيَـــاةُ نَعـــيمٌ أَفَتَرْضَـــى الخلـــودَ في البَأســـاءِ؟

هـــذهِ أرضُـــنَا بَلاقِـــعُ، تَمـــشي فوقَهَـــا كـــلُّ عاصِـــفٍ هَوْجَـــاءِ

هـــذه دورُنـــا مَنَـــازِلُ للبُـــو - مِ وكانـــتْ مَنَـــازِلَ الوَرْقـــاءِ

بَـدّلَتْهَا الـسّنُونُ شـوكاً مِـنَ الزَّهْـ - ـرِ وبــالوَحشِ مِــن بَــني حَــوَّاءِ

مــا طَــوَت كارِثــاً يــدُ الـصُّبحِ إلاّ نَـــشَرتْهُ لَنَـــا يَـــدُ الإمْـــسَاءِ

نحـــنُ ـِفِ الأَرضِ تـــائِهونَ كأنَّـــا   قَــومُ موســـى ـِفِ اللَّيلـــةِ اللَّــيلاءِ

تَترامَــى بِنَــا الرَّكائِــبُ ـِفِ البَيْــ ـ ـــدَاءِ طَـــوراً، وتـــارةً ـِفِ المـــاءِ

ضُـــعَفَاءُ مُحقَّـــرونَ كأنَّـــا   مـــن ظَـــلامٍ والنَّـــاسُ مِـــن لأْلأَءِ

واغـــترابُ القـــويّ عِـــزٌّ وفَخْـــرٌ   واغـترابُ الـضَّعيفِ بَـدءُ الفَنَـاءِ

عَابَنَـا البِـيضُ أَنَّنَـا غـيرُ عُجَـمٍ   والعِبَـــدَّى بالـــسِّحْنةِ البَيْـــضَاءِ

وَيْحَ قَومي قد أَطمَعَ الدَّهرُ فيهم   كـلَّ قَــومٍ حَتـى بـني الـسَّوداءِ

فـــإذا فاتَنَـــا عَـــدُوٌّ تجنَّـــى   فأَرانـــا الأحْبَـــابَ ـِفِ الأَعْـــداءِ

أَطْرَبَتْنَـــا الأَقْـــلامُ لَمَّـــا تَغَنَّـــتْ   بالمـــسَاواةِ بينَنَـــا والإخَـــاءِ

فَـــسَكِرْنا بِهَـــا فَلَمَّـــا صَـــحَوْنا   مَـا وَجَـدْنا منهـا سِـوى أَسمـاءِ!!

*

نَحْـــنُ ـِفِ دَولـــةٍ تَلاشَـــت قُواهـــا   كالنُّـــضَارِ المـــدفونِ ـِفِ الغَبْـــراءِ

أَو كمثـلِ الجَـنينِ ماتـتْ بـه الحا ـ مِـــلُ حيـــاً يجـــولُ ـِفِ الأحْـــشاءِ

عَجَبـاً كيـفَ أَصبحَ الأَصْلُ فرعـاً   والـضُّحَى كيـفَ حَلَّ ـِفِ الظَّلْمـاءِ

مـا كَفَفْنَـا مَظَـالِمُ التُّـرْكِ حتـى   زَحَفُـوا كـالجَرادِ أَو كالوَبَـاءِ

طُـــرِدُوا مـــن رُبِـــوعِهِمْ فَـــأرادوا   طَرْدَنـــا مـــن ربُوعِنـــا الحَـــسناءِ

مَـــا لَنَـــا، والخُطْــوبُ تأْخُــذُ مِنَّـــا   نَتَلَهَّـــــى كأَنَّنَـــــا ـِفِ رَخَـــــاءِ

ضِـيْمٍ أَحرارُنـا وَرِيـعَ حِمَانـا وسَـكَتْنا، وَالـصَّمْتُ للجُبَنَـاءِ

نَهـضةً تَكـشفُ المَذَلَّـةَ عَنَّـا فَلَقَـدْ طَـالَ نَومُنـا في الـشَّقاءِ

نهـضةً تَلْفِـتُ العُيُـونَ إليِنـا إنّ خَـوفَ الـبَلاءِ شَـرٌّ بَـلاءِ

نَهـضةً يحمـلُ الأَثـيرُ صَـداها للبَرايـا في أَوَّلِ الأَنْبَـاءِ

نهـضةً تَبْلُـغُ النفـوسُ مُناهـا فهـي مُـشتاقَةٌ إلى الهَيجَـاءِ

إنّ ذا المُلـكَ هَيكَـلٌ نَحـنُ فِيـه الـ ـ ـقَلْبُ والقلـبُ سَـيِّدُ الأَعـضاءِ

زَعَـمَ الخـائِنونَ أَنَّـا بمـا نَبْغِـ ـ ـيهِ نبغـي الوُصـولَ للعَنقـاءِ

سَـوفَ يَـدرونَ أَنمـا العُـربُ قـومٌ لا يُبَـالونَ غَـيرَ رَبّ الـسّمَاءِ

يَـومَ لا تُنبـتُ الـسُّهولُ سِـوى النَّـا ـ س وغَـيرَ الأَسِـنَّةِ الـسّمراءِ

يـومَ تَمـشي عَلـى جِبـالٍ مـن الأَشْـ ـ ـلاَءِ تَمـشي في أبحُـرٍ مـن دِمَـاءِ

يـومَ يستـشعِرُ المـراؤونَ مِنَّـا إنَّمـا الخاسِـرونَ أَهـلُ الرِّيـاءِ

الفقير

هـــمّ ألمّ بـــه مـــع الظلمـــاءِ فنـــأى بمقلتـــه عـــن الإغفـــاء

نفـس أقـام الحـزن بـين ضـلوعه والحـــزن نـــارٌ غـــير ذات ضـــياءِ

يرعى نجوم الليل ليس به هوى ويخالــه كلفــاً بهــنَّ الرائــي

في قلبــه نــار (الخليــل) وإنمــا في وجنتيــه أدمــع (الخنــساءِ)

قـد عـضه اليـأس الـشديد بنابـه في نفـسه والجـوع في الأحـشاءِ

يبكـي بكـاء الطفـل فـارق أمـه مـا حيلـة المحـزون غـير بكـاءِ!

فأقـام حلـس الـدار وهـو كأنـه ـ لخلـو تلـك الـدار ـ في بيـداء

حـيران لا يـدري أيقتـل نفـسه عمـداً فـيخلص مـن أذى الـدنياءِ

أم يستمر على الغضاضة والقذى والعــيش لا يحلــو مــع الــضراء

طـرد الكـرى وأقـام يـشكو ليلـه يـا ليـل طلـت وطـال فيـك عنـائي

يا ليل قد أغريت جسمي بالضنا حتـــى ليـــؤلم فقـــده أعـــضائي

ورميـتني يـا ليـل بـالهم الـذي يفـري الحـشا، والهـم أعـسر داءِ

يـا ليـل مالـك لا تـرق لحـالتي أتُـراك والأيـام مـن أعـدائي؟

يا ليل حسبي ما لقيت من الشقا رحمـاك لـستُ بـصخرة صـماءِ

بـنْ يـا ظـلام عـن العيـون فربّمـا طلـع الـصباح وكـان فيـه عزائـي

وا رحمتـا للبائـسين فـإنهم مـوتى وتحـسبهم مـن الأحيـاء

إِنـي وجـدت حظـوظهم مـسودّة فكأنمـا قـدت مـن الظلمـاءِ

ابـداً يـسر بنـو الزمـان ومـا لهم حـظ كغيرهـم مـن الـسرّاءِ

مـا في أكفهـم مـن الـدنيا سـوى أن يُكثـروا الأَحـلام بالنعمـاءِ

تـدنو بهـم آمـالهم نحـو الهنـا هيهـات يـدنو بالخيـال النـائي

بطـر الأنـام مـن الـسرور وعنـدهم أن الـسرور مـرادف العنقـاءِ

إنـي لأحـزن أن تكـون نفوسـهم غـرض الخطـوب وعرضـة الأرزاء

أنـا مـا وقفـت لكـي أشـبب بـالطلا مـالي وللتـشبيب بالـصهباءِ؟

لا تـسألوني المدح أو وصـف الـدمى إنـي نبـذت سفاسـف الـشعراءِ

بـاعوا لأجـل المـال مـاء حيـائهم مـدحاً وبـتُ أصـون مـاء حيـائي

لم يفهمـوا مـا الـشعر، إلا انـه قـد بـات واسـطة إلى الإثـراء

فلـذاك لاقيـت غـير مـشبب بالغانيـات وطالـبٍ لعطـاءِ

ضـاقت بـه الـدنيا الرحيبـة فـانثنى بالـشعر يـستجدي بـني حـواءِ

شقي القريض بهم وما سعدوا به | لـولاهمُ أضحى من السعداءِ
نادوا علينا بالمحبة والهوى | وصدورهم طبعت على البغضاءِ
ألفوا الرياء فصار من عاداتهم | لعن المهيمن شخص كل مرائي!
إن يغضبوا مما أقول فطالما | كره الأديب جماعةُ الغوغاءِ
أو ينكروا أدبي فلا تتعجبوا | فالرمدى يؤلمهم طلوع ذكاءِ
أو كلما نصر الحقيقةَ فاضلٌ | قامت عليه قيامة السفهاءِ
أنا ما وقفت اليوم فيكم موقفي | إلا لأَندب حالة التعساء
عليّ احرّك بالقريض قلوبكم | إن القلوب مواطن الأهواء
لهفي على المحتاج بين ربوعكم | يُمسي ويُصبح وهو قيد شقاءِ
أمسى سواءً ليله وصباحه | شتان بين الصبح والإمساء
قطع القنوط عليه خيط رجائه | والمرء لا يحيا بغير رجاءِ
لهفي! ولو أجدى التعيس تلهفي | لسفكت دمعي عنده ودمائي
قل للغني المستعز بماله | مهلاً لقد أسرفت في الخيلاءِ
جُبل الفقير أخوك من طين ومن | ماء، ومن طين جبلت وماء
فمن القساوة أن تكون منعماً | ويكون رهن مصائب وبلاء
وتظل ترفل بالحرير أمامه | في حين قد أمسى بغير كساءِ

أتـــضن بالـــدينار في إســـعافه   وتجـــود بـــالآلاف في الفحـــشاءِ

انـصر أخـاك فـإن فعلـت كفيتـه   ذلَّ الـــسؤال ومنـــة الـــبخلاءِ

أذوي اليـسار ومـا اليـسار بنـافع   إن لم يكـن أهلـوه أهـل سـخاء

كم ذا الجحود ومالكم رهن البلا   وبم الغـرور وكلكـم لفنـاءِ؟

إن الـضعيف بحاجـة لنـضاركم   لا تقعـدوا عـن نـصرة الـضعفاءِ

أنـا لا اذكّـر مـنكم أهـل النـدى   لـيس الـصحيح بحاجـة لـدواءِ

إن كانـت الفقـراء لا تجـزيكم   فـالله يجـزيكم عـن الفقـراءِ

تلك السنون

في حفلة اليوبيل الفضي لجريدة "السمير"

تلكَ السنونُ الغارباتُ ورائي ... سِفْرٌ كتبتُ حروفَهُ بدمائي

ما عشتُها لأعدّها بل عشتُها ... لتبينَ في سِيمائها سِيمائي

سِيَّانِ لو أَني قنعتُ بعدِّها ... عمري وعمرُ الصخرةِ الصماءِ

ولبذَّني يومَ التفاخُرِ شاطئٌ ... ما فِيهِ غيرُ رمالِهِ الخرساءِ

لاحتْ لِيَ العلياءُ في آفاقِهَا ... فأَردتُها دَرْباً إلى العلياءِ

ومحبةً للخيرِ تسري في دمي ... ورعايةً للضعفِ والضعفاءِ

وعبادةً للحقِ أينَ وجدتُهُ ... والحسنِ في الأَحياءِ والأَشياءِ

لتدورَ بعدي قصةٌ عن شاعرٍ ... رقصتْ به الدنيا جناحَ ضياءِ

نَشَرَ الطيوبَ على دروبِ حياتِهِ ... وَسَرَى هوًى في الطيبِ والأَنداءِ

وأَطلَّ من قلبِ البخيلِ سماحةً ... وشجاعةً في السّلْمِ والهيجاءِ

ومشى إلى المظلوم بارقُ رحمةٍ ... وهوى على الظلامِ سَوْطَ بلاءِ

فتعــزُّ دنيــا قــد طــوَتْ آبــائي   وتهــشُّ دنيــا أَطلعــتْ أبنــائي

*

تلــك الــسنونُ ببؤسِــهَا ونعيمِهَــا   مالــتْ بعــودي وانطــوتْ بروائــي

أَيــن الــشبابُ أَلــفُّ أَحلامــي بِــهِ   لــيسَ الــشبابُ الآن لــي بــرداءِ

نفــسي تحــسُّ كأنمــا أَثقالُهَــا   قــد خُــيرتْ فــتخيرتْ أعــضائي

كَمْ مِنْ رؤىً طلعتْ على جَنَبَاتِها   ركبــاً مــن الأَضــواءِ والأَشــذاءِ

قَلّبــتُ فيهــا بَعْــدَ لأَيٍ نــاظرِي   فتعثــرتْ عينــايَ بالأَشــلاءِ

يــا للــضحايا، لا يــرفُّ لموتِهــا   جفــنٌ، ولا تُحــصى مــع الــشهداءِ

ودعــتُ لــذَاتِ الخيــالِ وعفتُهــا   ورضــيتُ أَنْ أَشــقى مــع الحكمــاءِ

فعرفــتُ مثلــهم بــأَني موجــدٌ   بؤســي، وأَنــي خــالقٌ نعمــائي

*

إنــي أرانــي بعــد مــا كابدتُــهُ   كالفُلــكِ خارجــةً مــن الأنــواءِ

وكــسائحٍ بلــغَ المدينــةَ بعــدما   ضَــلَّ الطريــقَ وتــاهَ في البيــداءِ

شــكراً لأَصــحابي فلــولا حــبهمْ   لم أقــتربْ مــن عــالَمِ الــلألاءِ

بهمِ اقتحمتُ العاصفاتِ بمركبي   وبهـمْ عقـدتُ علـى النجـومِ لـوائي

*

شـــكراً لأعـــدائي فلـــولا عيـــثهم ... لم أَدرِ أنهمـــو مـــن الغوغـــاءِ

نَهَـشَ الأَسـى لمـا ضـحكتُ قلـوبهمْ ... عـــرسُ المحبـــةِ مـــأتمُ البغـــضاءِ

ذنـــبي إلى الحـــسَادِ أَنـــي فـــتَّهم ... وتـــــركتهم يتعثـــرونَ ورائـــــي

وخطيـئتي الكـبرى إلـيهم أَنهـم ... قَعَـدوا ولم أَقعـد علـى الغـبراءِ

عفـــوُ المـــروءَةِ والرجولـــةِ أَنـــني ... أخطـأتُ حـينَ حـسبتهمْ نُظرائـي

*

شـكراً لكـلِّ فتـىً مزجـتُ بروحـهِ ... روحــــي فطـــابَ ولاؤُهُ وولائـــــي

مـن كـانَ يحلـمُ بالـسماءِ فـإنني ... في قلـبِ إنـسانٍ وجـدتُ سمـائي

لـيسَ الجمـالُ هـو الجمـالُ بذاتِـهِ ... الحـسنُ يوجـدُ حـينَ يوجـدُ رآءِ

مـا الكـونُ؟ مـا في الكـونِ لـولا آدمٌ ... إلا هبـــــاءٌ عـــــالقٌ بهبـــــاءِ

وأَبـو البريـةِ مـا أبـانَ وجـودَهُ ... وأَتمَّ غايتَـــهُ ســـوى حـــواءِ

إنـي سـكبتُ الخمـرَ حـين سـكبتُهَا ... للنـــاسِ، لا للأنجـــمَ الزهـــراءِ

لا تـشربُ الخمـرَ النجـومُ وإن تكُـنْ ... معـــصورةً مـــن أَنفـــسِ الـــشعراءِ

*

تلـكَ الـسنونُ، عقيمُهَـا كولودِهَـا ... حلـوٌ لـديَّ، كـذا يـشاءُ وفـائي

فالليلـــةُ العـــسراءُ مـــن عمـــري ... وعمرُ الدهرِ مثلَ الليلةِ السمحاءِ

يا مَنْ يقولُ (ظلمتَ نفسَكَ فاتئدْ) دعــني، فلــستَ بحامــلٍ أعْبــائي

إنَّ الحيــاةَ الــروحُ بعــضُ عطائِهــا وأَنــا ثمــارُ الــروحِ كــلُّ عطــائي

مــا العمــرُ؟ إنْ هُـوَ كالإنـاءِ وإنـني بالطِّيــبِ الغــالي مــلأتُ إنــائي

فــإذا بقيــتُ، فللجمــالِ بقــائي وإذا فنيــتُ، ففــي الجمــالِ فَنَــائي

*

للّهِ مــا أَحلــى وأَســنى لــيلتي هــيَ في كتــابِ العمــرِ كـالطغراءِ

يا صحبُ لن أنسى جميلَ صنيعِكُمْ حتــى تفــارقَ هيكلــي حَوْبــائي[1]

وتقـولُ عـيني "قـد فقـدتُ ضـيائي" ويقـولُ قلـبي "قـد فقـدتُ رجـائي"

---

١ - النفس.

رؤيا

رؤيـا منـامٍ... ربَّ حلـمٍ في الكـرى فيـــهِ تلـــوحُ حقـــائقُ الأشـــياءِ

إنـــي حلمـــتُ كأنمـــا أنـــا ســـائرٌ في روضـــــةٍ خلاّبـــــةٍ غنَّـــــاءِ

أَلنـــورُ مفـــروشٌ علـــى طُرُقاتهـــا والعطـــرُ في النـــسماتِ والأَفيـــاءِ

والعـــشبُ فيهـــا ســـندسٌ متمـــوِّجٌ والجـــوُّ أَضـــواءٌ علـــى أضـــواءِ

وإذا بـــصوتٍ كـــالهرير يطـــنُّ في أُذنـــــي، وأَنيـــــابٌ تـــــصرُّ ورائـــــي

فـــأَدرتُ طـــرفي باحثـــاً متعجبـــاً ممـــا سمعـــتُ، ولـــستُ في بيـــداءِ

فـــإذا ورائـــي في الحديقـــةِ نـــابحٌ ضـاري المحـاجرِ ضـامرِ الأَحـشاءِ

كـادتْ تطـلُّ عروقُـهُ مـن جلـدِهِ وتطـــلُّ معهـــا شـــهوةٌ لـــدمائي

أَشـــفقتُ يعلـــقُ نابُـــهُ بردائـــي فرفـــستهُ غَـــضَباً فطـــارَ حـــذائي

فَطَـــوَى نواجـــذَهُ عليـــهِ كأَنمـــا عـــضَّتْ نواجِـــذُهُ علـــى العنقـــاءِ

ومـــضى بـــهِ لرفاقِـــهِ فتهلّلـــوا وتقـــاسموهُ، فكـــانَ خـــيرَ عـــشاءِ

لا يعجـــبنْ أحـــدٌ رآنـــي حافيـــاً أَبلـــتْ نعـــالي أَلـــسنُ الـــسفهاءِ...

رؤيا ثانية

وحلمتُ ثانيةً، وكانَ الكونُ لم ... تبرحْ عليهِ كلاكلُ الظلماءِ
أني رأيتُ جرادةً مطروحةً ... في سَبْخَةٍ منهوكةِ الأعضاءِ
ترنو إلى الأُفُقِ البعيدِ بمقلةٍ ... كلمى، وتشتمُ أنجمَ الجوزاءِ
فسألتها ماذا عراكِ فلمْ تُجِبْ، ... فسألتُ عنها زمرةَ الرفقاءِ
قالوا: رفيقتنا شهيدة هزئها ... بنصائحِ العُقَلاءِ والحكماءِ
كانتْ إذا جاعتْ فحبةُ خردلٍ ... تكفي، وإنْ عطشتْ فنقطةُ ماءِ
سمعتْ بنهرٍ في السماءِ وجنَّةٍ ... ليستْ لتصويحٍ ولا لفناءِ
ألعطرُ في أَثمارها، والشهدُ في ... أنهارها، والسحرُ في الأنداءِ
فاستنكفتْ أَنْ تستمرَّ حياتُهَا ... في الأَرضِ جاثمةً على الأَقذاءِ
فمضتْ تحلّقُ في الفضاءِ ولم تزلْ ... حتى هوت فهوتْ إلى الغبراءِ
رجعتْ إلى الدنيا التي خُلِقَتْ لها ... لم تُخلقِ الحشراتُ للأَجواءِ
هذي حكايَتُهَا وفيها عبرةٌ ... للطائشينَ كهذهِ الحمقاءِ

الطيران

لو رأى "آدمٌ" فَتاهُ لزَالَ الحِقدُ مِن قَلبِهِ علَى حَوَّاءِ

صَيَّرَ الأَرْضَ جَنَّةً دونَهَا الجَنَّةُ فِي الحُسنِ وَالبَهَا والرُّواءِ

ما أظُنُّ النّعيمَ فيهِ الذي في الأرضِ مِنْ بَهجَةٍ ومن لأْلأءِ

كلُّ مَا في الوجودِ للمرءِ عَبدٌ وَهُوَ عَبْدُ الشَّهواتِ والأَهواءِ

كائِنٌ كلُّ كائِنٍ حارٍ فيهِ فهوَ حُلوٌ مُرٌّ ودانٍ ناءِ

وَهُوَ طَوراً يكونُ نصفَ إلَهٍ وَهُوَ طَوراً أدنى مِنَ العَجماءِ

عَجَباً كَيْفَ طَاعَهُ الطِّينُ وَالما ءُ وَما كانَ غَيرَ طِينٍ ومَاءِ؟

سَادَ فِي الكَوْنِ مثلَمَا سَادَ فيهِ خالِقُ الكَوْنِ مُبدِعُ الأَشيَاءِ

فهوَ فِي الماءِ سَابِحٌ وعلَى الغَبراءِ مَاشٍ وَطَائِرٌ فِي الفَضَاءِ

اتَخذَ الجَوَّ مَلعَباً ثمَّ أمْسَى راكِضاً فِي الهوَاءِ رَكضَ الهواءِ

فَهوَ فوقَ السَّحَابِ يَحكيهِ فِي مَسراهُ لكِنَّهُ أَخو خُيَلاءِ

وَهُوَ بَين الطُّيورِ تحسَبُهُ العَنقاء لولا اسْتِحالةُ العَنقاءِ

أَبــصَرَتْهُ فــاكبَرَتْ أَنْ تَـــرى ﭬ الجَـــوّ صَـــيَّادَهَا عَلـــى الغَـــبراءِ

فاسْــتَوى ﭬ قُلوبِهَــا الــذُّعرُ حَتــى   كـادَ يَحْكـي البَلاءَ خَـوفُ البَلاَءِ

وَتَنَاجَـــتْ تبغـــي النَجَــاةَ فِـــراراً   أيْــنَ أيْــنَ المفَــرُّ مِــنْ ذا القَـضَاءِ

وَيْـحَ هـذي الطُّيـورِ تجنـى علـى المَوْ   تَـى وتَرْجـو سـلماً مِـن الأَحيـاءِ

إِهْبِطـــي أو فَحَلِّقـــي أَو فَـــسيري   إِنَّمــــا المُنْتَهـــــى إلى الأَرزاءِ!

*

وَهْــوَ بَــينَ النُّجُــومِ يَــسترقُ الــسَّمعَ ولا يَتَّقــي رُجــومَ الــسّماءِ

مَـــشهَدٌ رَوَّعَ الـــدَّراري فَباتَـــتْ   حـــائِراتٍ ﭬ القُبَّـــةِ الزَّرقـــاءِ

نـــافِراتٍ كأنَّهـــا ظَبيَـــاتٌ   رأتِ القَانـــصينَ ﭬ البيـــداءِ

ســـائلاتٍ إذا رَسُـــولُ سَـــلامٍ   مِـن بـني الأَرْضِ أم نَـذِيرُ فَنـاءِ؟

هَالَهــا أَنْ تَــرى مِــن الإنــس قَومــاً   يتهَــادَوْنَ مِثلَهَــا ﭬ الفَــضَاءِ

فَرَأيــتَ الجَــوْزَاءِ تــشكو الثُّريَّــا   والثُّرَيَّــا تــشكو إلى الجَــوزاءِ

لا تُراعــي يــا شُــهبُ مِنَّــا فإنَّــا   مَـا حَملنـا إلَيـكِ غَـيرَ الـولاءِ

قَــدْ كَرِهْنــا المقــام ﭬ الأَرضِ لَمــا   قيــلَ إنَّ الــسَّما مَقَــرُّ الهَنَــاءِ

إنَّمـــا شَـــوقُنا إليـــكَ الـــذي أَسْـــرى بنَـــا لا الهيــامُ ﭬ الإسْـــراءِ

فَـــصِلينا نَـــزْددْ غَرامـــاً وَوَجْـــداً   غَـيرُ مُستَحـسَنٍ كـثيرُ الإِبَـاءِ

نحـنُ يـا شُـهبُ في حِمـاك ضُـيوفُ وَجَميـــلٌ رَعَايَـــةُ الغُرَبـــاءِ

أَكرمِــي ذلِــكَ المُحلِّــقَ فــوقَ الــسُّحبِ يُــثني عَلَيــكِ خَــيرَ ثَنــاءِ

وأَنـــيري طَريقَـــهُ إن دَجَـــا اللّيـــلُ وَدَبَّـــتْ عَقـــارِبُ الظَّلمَـــاءِ

صَــاغَكِ اللهُ شُــعلةً مِــنْ ضِــيَاءٍ وبَــرا المــرءَ شُــعلَةً مِــنْ ذكــاءِ

اتَخذيــهِ أَخــاً يكــنْ لَــكِ عَوْنــاً كــلُّ نَفــسٍ محتاجَــةٌ للإخــاءِ

لا تُفَـــاخِرْ بالوَاخِـــداتِ وَلا بالخَيـــلِ مِـــنْ أَدهَـــمٍ وَمِـــنْ شَـــهباءِ

هَــانَ عَــصرُ النِّيــاقِ وَالرَّاكِبيهَــا عنــدَ عَــصْرِ البُخَــارِ والكَهربــاءِ!

أخو الورقاء

رسالة إلى الشاعر القروي
ألقيت في الحفلة الوداعية
التي أقيمت في ولاية تكساس
وقد تعذر على الشاعر حضورها

للّهِ مــن عَبَــثِ القــضاءِ وســخرِهِ … بالنــاسِ والحــالاتِ والأَشــياءِ
كــم درةٍ في التــاجِ أَلــفٌ مثلــها … في القــاعِ لم تَخْـرُجْ مـن الظلمـاءِ
ولكــمْ تعثَّــرَ بالغبــارِ سميــذعٌ … وانــداحتِ الأَطــوادُ للجبنــاءِ
ولكــم جَنَــى علــمٌ علــى أَربَابِــهِ … وجنــى الهنــاءَ جماعــةُ الجهــلاءِ
أَرأَيــتَ أَعجــب حالــةٍ مــن حالنــا … أَزَفَ الرحيــلُ ولم نَفُــزْ بلقــاءِ!
عاشــتْ شــهوراً بالرجــاءِ قلوبُنَــا … وبلحظــةٍ أَمــستْ بغــيرِ رجــاءِ
ماتــتْ أَمانينــا الحــسانُ أَجنَّــةً … لم تَكْتَحِــلْ أَجفانهــا بــضياءِ
فكأنهــا بــرقٌ تــأَلَّقَ وانطــوى … في الليــلِ لم تلمحْــهُ مقلــةُ راءِ
وكأننــا كنــا نحلِّــقُ في الفــضا … صُــعُداً لــنلمسَ منكــبَ الجــوزاءِ

حتى إذا حانَ الوصولُ... رَمَتْ بنا
نكباءُ عاتيةٌ إلى الغبراءِ!

وكأن "تكسس" وهي في هذا الحمى
صَقْعٌ "كسانبولٍ" قصيٌ ناءِ

طوبى لها، إنْ كانَ يعلَمُ أَهلُها
أَنَّ النزيلَ بها أَخو الورقاءِ

كانتْ مسارحَ "للرعاةِ" فأَصبحتْ
لما أَتاها كعبةَ الشعراءِ

هو بلبلٌ عَبَقُ النبوَّةِ في أَغا - نيهِ، وفيها نكهة الصهباء

وجلالُ لبنانٍ، وقد غَمَرَ المسا هضباتِهِ، وانسالَ في الأَوداءِ

غنَّى، ففي النسمات، والأوراقِ،
والغدران، أَعراسٌ بلا ضوضاءِ

وبكى، فشاعَ الحزنُ في الأزهارِ،
والأَظلالِ، والأَلوانِ، والأَضواءِ

هو نفحةٌ قدسيةٌ هبطتْ إلى هذا الثرى من عالم اللألاءِ

لو عادَ للدنيا البراقُ وحزتُهُ ما كانَ إلا نجوَهُ إسرائي

أَشكو البعادَ وليسَ لي أنْ أَشتكي فسماؤهُ موصولةٌ بسمائي

ما حالَ بين نفوسنا، ما حالَ بين جسومنا من أَجبُلٍ وفضاءِ

فلَكمْ نَظَرْتُ إلى الرُّبى فلمحتهُ في الأُقحوانِ الخيِّرِ المعطاءِ

وسمعتُ ساقيةً تَئِنُّ فخلتني لبكائِهِ أوطانُهُ إصغائي

وإذا تلوحُ لي الجبالُ ذكرتُهُ فالشاعرُ القرويُّ طودُ إباءِ

مَنْ كانَ يحلُمُ بالغديرِ فإنهُ يبدو لَهُ في كلِّ قطرةِ ماءِ

إنْ كنتُ لم أَرَهُ فقدْ شاهدتُهُ بعيونِ أَصحابي، وذاكَ عزائي

*

أَفتى القوافي كالشِّواظِ على العدى

وعلى قلوب الصَّحْبِ كالأَنداءِ

سارتْ إليكَ تحيتي ولو أنّني

خُيِّرتُ، كنتُ تحيتي ودعائي

الحجر الصغير

سمــعَ الليـــلُ ذو النجـــومِ أَنينـــاً وهـــو يغـــشى المدينـــةَ البيـــضاءَ

فـانحنى فوقَهـا كَمُـسْتَرِقِ الهمْـ ـ ـسِ يطيـلُ الـسكوتَ والإصـغاءَ

فـرأى أَهلـها نيامـاً كأهـلِ الـ ـ ـكهفِ لا جلبـةً ولا ضوضـاءَ

ورأَى الـسدَّ خلفَهـا محكـمَ البنـ ـ ـيانِ والمـاءَ يـشبهُ الـصحراءَ

كانَ ذاكَ الأَنينُ من حَجَرٍ في السـ ـ ـدِّ يـشكو المقـادرَ العميـاءَ

أَيّ شـأنٍ يقـولُ في الكـونِ شـأني لـستُ شـيئاً فيـهِ ولـستُ هبـاءَ

لا رخـامٌ أَنـا فأَنحـتُ تمثـا ـ لاً، ولا صـخرةٌ تكـونُ بنـاءَ

لـستُ أَرضـاً فأَرشـفُ المـاءَ، أَو مـاءً فـأَروي الحـدائقَ الغنَّـاءَ

لـستُ دراً تنـافسُ الغـادةُ الحـ ـ ـسناءُ فيـهِ المليحـةَ الحـسناءَ

لا أَنـا دمعـةٌ ولا أَنـا عـينٌ، لـستُ خـالاً أَو وجنـةً حمـراءَ

حَجَـــرٌ أَغـــبرٌ أَنـــا وحقـــيرٌ   لا جمـــالاً، لا حكمـــةً، لا مـــضاءَ

فلأغـــادرْ هـــذا الوجـــودَ وأَمـــضي   بـــسلامٍ، إنـــي كرهـــتُ البقـــاءَ

وَهَـــوى مـــن مكانِـــهِ، وهـــو يـــشكو   الأَرْضَ والـشهبَ والـدجى والـسماءَ

فَـــتَحُ الفجـــرُ جفنَـــهُ.. فـــإذا الطوفـــانُ يغـــشى "المدينـــةَ البيـــضاءَ"

عطش الأرواح

زحزحتْ عن صدرِهَا الغيمَ السماءْ وأَطلَّ النورُ من كَهْفِ الشتاءْ

فالروابي حِلَلٌ من سُندسٍ والسواقي ثرثراتٌ وغناءْ

رَجَعَ الصيفُ ابتساماً وشذًى فمتى يرجعُ للدنيا الصفاءْ؟

فأَرى الفردوسَ في كلِّ حمىً وأَرى الناسَ جميعاً سعداءْ

زالتِ الحربُ وولتْ إنما ليسَ للذعرِ من الحربِ انقضاءْ

إنْ صحونَا فأَحاديثُ الوغى في الحمى الآهِلِ والأَرْضِ العراءْ

وإذا نمنا تراءتْ في الكرى صُوَرُ الهولِ وأَشباحُ الفناءْ

فهيَ في الأَوراقِ حبرٌ هائجٌ وعلى "الراديو" فحيحُ الكهرباءْ

نتقي في يومنا شرَّ غد وإذا الصبحُ انطوى خفنا المساءْ

عجباً! والحربُ باب للردى وطريقٌ لدمارٍ وَعفَاءْ

كيفَ يهواها بنو الناسِ فهلْ كرهوا في هذهِ الدنيا البقاءْ؟

إنْ يَكُنْ علمُ الورى يشقيهمُ يا إلهي ردَّ للناسِ الغباءْ

وليجــئْ طوفــانُ نــوحٍ قبلمــا	تغــرقُ الأَرْضُ بطوفــانِ الــدماءْ
واعـصمِ الأَسـرارَ واحجـبْ كنهَهَـا	عَـنْ ذوي العلـمِ وأَربـابِ الـذكاءْ
فلقــدْ أَكثــرتَ أســبابَ الأَذى	عنــدما أَكثــرتَ فينــا العلمــاءْ
كــم وجــدنا آفــةً مهلكــةً	كلمـا زحزحـتَ عـن سـرٍ غطـاءْ؟
قــد ترقــى الخَلْــقُ لكــنْ لم تــزلْ	شــرعةُ الغابــةِ شــرعَ الأَقويــاءْ
حُــرِّمَ القتــلُ، ولكــنْ عنــدهُمْ	أَهــونُ الأَشــياءِ قتــلُ الــضعفاءْ
لا تقــلْ لــي هكــذا الله قــضى	أنــتَ لا تعــرفُ أَســرارَ القــضاءْ
جــاءني بالمــاءِ أَروي ظمــأي	صـاحبٌ لـي مِـنْ صـحابي الأَوفيـاءْ
يــا صــديقي جنِّــبِ المــاءَ فمــي	عَطَــشُ الأَرواحِ لا يُــروي بمــاءْ
أَنــا لا أَشــتاقُ كاســاتِ الطَّــلا	لا، ولا أطلــبُ مجــداً أَو ثــراءْ
إنمــا شــوقي إلى دنيــا رضًــى	وإلى عــصرِ سَــلامٍ وإخــاءْ
لا تعــدني بالــسما، يــا صــاحبي	أَلــسما عنــديَ قــربَ الأَصــدقاءْ
وأُرانــي الآن في أكنــافهمْ	فأنــا الآنَ كــأَني في الــسماءْ!

الشاعر في السماء

رآنـــــيَ اللّهُ ذاتَ يـــــومِ ... في الأَرْضِ أَبكـي مـن الـشقاءْ

فَـــرَقَّ، واللّهُ ذو حنـــانٍ ... علـى ذوي الـضرِّ والعنـاءْ

وقـالَ: لـيسَ الـترابُ داراً ... للـشعرِ، فـارجعْ إلى الـسماءْ!

وشـادَ فـوقَ الـسِّماكِ بـيتي ... ومـدَّ ملكـي علـى الفـضاءْ

فالتفَّـتِ الـشُّهْبُ حـولَ عرشـي ... وسـارَ في طـاعتي الـضياءْ

وصـرتُ لا ينطـوي صـباحٌ ... إلاَّ بـأَمري ولا مـساءْ

ولا تـسوقُ الغيـومَ ريـحٌ ... إلاَّ ولـي فوقهـا لـواءْ

فـالأمرُ بـين النجـومِ أَمـري ... لـي الحكـمُ فيهـا ولـي القـضاءْ

*

لكـنَّني لم أزَلْ حزينـاً ... مكتئـبَ الـروحِ في العـلاءْ

فاسـتغرب اللّهُ كيـفَ أَشـقى ... في عـالمِ الـوحيِ والـسَّناءْ

وقـالَ: مـا زالَ آدميّـاً ... يـصبو إلى الغِيْـدِ والطّـلاءْ

ومـــسَّ روحـــي واســـتلَّ منهـــا شـــوقي إلى الخمـــرِ والنـــساءْ

وظـــنَّ أَنِّـــي انتهـــى بلائـــي فلـــمْ يَزِدْنـــي ســـوى بـــلاءْ

واشـــتدَّ نَـــوْحي وصـــارَ جَهْـــراً وكـــانَ مـــن قَبْـــلُ في الخفـــاءْ

وصـــارَ دمعـــي ســـيولَ نـــارٍ وكـــانَ قـــبلاً ســـيولَ مـــاءْ

*

يـــا أَيُّهـــا الـــشاعرُ المعنَّـــى حيَّرنـــــي داؤُكَ العيـــــاءْ

هـــل تـــشتهي أَن تكـــونَ طـــيراً؟ فقلـــتُ: كـــلاً، ولا غنـــاءْ!

هـــل تـــشتهي أَن تكـــون نجمـــاً؟ أَجبـــتُ: كـــلاَّ، ولا بَهَـــاءْ!

هـــل تبتغـــي المـــالَ؟ قلـــتُ: كـــلاَّ ومـــا كـــانَ مـــن مطلـــبي الثـــراءْ

ولا قـــــصوراً، ولا رياضـــــاً ولا جنـــــوداً ولا إِمـــــاءْ

ولـــيسَ مـــا بـــي، يـــا ربُّ، داءٌ ولا احتيـــــــاجي إلى دواءْ

ولا حنـــــيني إلى القنـــــاني ولا اشـــــتياقي إلى الظبـــــاءْ

ولا أُريـــــدُ الـــــذي لِغَيْـــــري ذا حكمـــــةٍ كـــانَ أَمْ مَـــضَاءْ

لكـــــنَّ أُمنيَّـــــةً بنفـــــسي يـــستُرها الخـــوفُ والحيـــاءْ!

فقـــالَ: يـــا شـــاعراً عجيبـــاً قُـــلْ لـــي إذنْ مـــا الـــذي تَـــشَاءْ؟

فقلـــتُ: يـــا ربِّ، فـــصلَ صـــيفٍ في أَرْضِ لبنـــانَ أَو شـــتاءْ

فـــــإنَّني ههنــــــا غريـــــــبٌ   ولـــــيسَ في غُربــــةٍ هنـــــاءْ!

فاستـــضحكَ اللهُ مـــن كلامـــي   وقــــال: هـــذا هُـــوَ الغَبَـــاءْ

لبنـــــانُ أَرضٌ ككـــــلِّ أَرضٍ   وناســــــهُ والـــــوَرَى ســـــواءْ

وفيــــه بُؤســـى وفيـــه نُعمـــى   وأَرديــــــــــاءٌ وأَتقيـــــــاءْ

فـــأَيُّ شـــيءٍ تـــشتاق فيـــه؟   فقلـــتُ: مـــا ســـرَّني وسَـــاءْ

تحـــنُّ نفـــسي إلى الـــسواقي،   إلى الأقـــاحي، إلى الـــشَّذاءْ

إلى الروابـــي تَعـــرى وتكـــسى،   إلى العـــــصافير والغنـــــاءْ

إلى العناقيـــــدِ، والـــــدوالي،   والمـــاءِ، والنـــورِ، والهـــواءْ!

فَأَشـــرفَ اللهُ مـــن عُـــلاهُ   يـــشهدُ "لبنـــانَ" في المـــساءْ

فقـــالَ: مـــا أَنـــتَ ذو جنـــونٍ   وإنَّمـــــا أَنـــتَ ذو وفـــاءْ

فـــإنَّ لبنـــانَ لـــيسَ طَـــوْداً،   ولا بـــــلاداً، لكـــنْ سمـــاءْ!

مصرع حبيبين

فِي ذلكَ الرَّوْضِ الأَغنِّ بدَى فتًى   قد يبلغُ العشرينَ عاماً ذو نُهَى
كالبدرِ إلا أَنهُ متكتِّمٌ   والغصنِ إلاَّ أنهُ غُصُنٌ ذَوَى
كَتَبَ الضَّنَى فِي وجهِهِ هذا الذي   كادَ الغرامُ بهِ يَؤولُ إلى الفَنا
دَنِفٌ تروِّعُهُ الغصون إذا انثَنَتْ   طَرَباً، ويُقلقهُ النسيمُ إذا جَرَى
حيرانُ يُقْعِدُهُ الهوى ويُقيمهُ   فكأنَّهُ عَلَمٌ يُداعِبُهُ الهَوَا
فإذا رَنَا للأُفقِ ظَنَّ نجومَهُ   عَقْدَ التي مَنْ رامَهَا رامَ السَّمَا
وتوهَّمَ القمرَ المحلِّقَ وَجْهَ مَنْ   ضَنَّتْ وجادتْ باللِّقاءِ وبالنَّوى
حَجَبَ الغمامُ البدرَ عندَ مَسيرِهِ   فكأنَّهُ (أَسْمَاءُ) تَسري فِي الدُّجَى
حسناءُ قد عَشِقَ المُحِبُّ عفافَهَا   وتعشَّقتْ آدابَهُ فَهُمَا سَوَا
كالغصنِ قامتُها إذا الغُصْنُ انثنى   وجبينُها يَحْكي الصباحَ إذا انجلَى
وقعتْ غدائِرُهَا على أَقدامِها   فكأنها قد عَضَّها نابُ الهَوَى
خَوْدٌ إذا نطقتْ حَسِبْتَ حديثَها   دُرّاً، ولكنْ ليسَ مما يُشْتَرَى

وقفتْ تُحيط بها الزهورُ كأنها   قَمَرٌ تُحِيطُ بِهِ الكواكبُ في الفَضَا

ومشَتْ تَحِفُّ بها الغصونُ كأنها   مَلِكٌ تحفُّ بِهِ الجنودُ إذا مَشَى

للّهِ زورتُها وقد قَنِطَ الفتَى   فكأنها روحٌ جَرَى فيمنْ تَوَى

هيهاتِ ما ظَفُرَ المؤَمِّلِ بالغِنَى   بألذَّ من ظَفَرِ المتيَّمِ باللِّقَا

فَدَنَا يطارِحُها تحيَّةَ عاشقٍ   ويقولُ أهلاً بالحبيبِ الذي أتَى

بينا تُصافِحُ من يُصافِحُها إذا   بدموعِها سَحَّتْ فَصَافحتِ الثَّرَى

"ما للعيونِ تحدَّرَتْ عَبَراتُها   وعلامَ هذا الحُزْنُ يا ذاتَ البَهَا"؟

قالتْ حبيبي لو تَرَى ما قد جَرَى   في رَبْعِنَا شارَكْتَني فيما تَرَى

جارَ القضاءُ عليَّ في أحكامِهِ   ما حيلةُ الإنسانِ إنْ جارَ القَضَا؟

فابْكِ معي، فلربَّما نَفَعَ البُكا   إنَّ الليالي لا تدومُ على الصَفَا

قالَ الفتَى، والدمعُ مُنْتَثِرٌ على   خدَّيهِ، يا أَسماءُ قولي ما جَرَى

فتلفَّتتْ في الرَّوْضِ خِيفَةَ سامعٍ   فكأنها الظَّبيْ الغريرُ إذا رَنَا

وترددَّتْ بكلامِهَا فكأنما   تَبْغي ولا تبغي التفوَّهَ بالنَبَا

قالتْ وَدَمْعُ الحُزْنِ يَخْنُقُ صوتَهَا   وَشَتِ الحواسدُ عندَ من نخشى بِنَا

وغداً يعودُ الشَّمْلُ منفصمَ العُرَى   هذا هو الخَبَرُ اليقينُ بلا خَفَا

قد أَنبأتْهُ بالفِراقِ وما دَرَتْ   أنَّ الفراقَ حِمَامُ مَنْ عَرَفَ الهَوَى

فكأنمـــا ســـهمٌ أصـــابَ فـــؤادَهُ   وكـأنـــهُ لمـــا ارتمـــى طَـــوْدٌ هَـــوَى

أمـا الفتـاةُ فراعَهَـا مـا صـارَ في   محبوبِهَـا وكأنهـا نَـدِمَتْ عَلَـى...

جعلـــتْ تُناديــهِ بــصوتٍ مُحْــزِنٍ   فَيُجيبها كنـدائِهَا رَجْـعُ الـصَدَى

حتـى إذا قَنِطَـتْ دَنَـتْ منـهُ كمـا   يدنو أَخـو الـدَّاءِ العُضالِ مِنَ الـدَوَا

وَحَنَـتْ فحرَّكـتِ الفَتَـى وإذا بــهِ   جِـسْمٌ ولكــنْ لا حيــاةَ بـــهِ ولا...

قـد فـارقَ الـدُّنيا ففارقَهَـا الرَّجَـا   وَهَـــوَتْ تُعانِقُـــهُ فَفَارقـــتِ الـــوَرَى

قَمَـرانِ ضَـمَّهما التُّـرابَ وَمَـا عرفـ ـ ـتُ سِوَاهُمَا قَمَـرَيْنِ ضـمَّهما الثَّـرَى

السجينة

لَعَمْرُكَ ما حزني لمالٍ فقدتهُ   ولا خانَ عهدي في الحياة حبيبُ

ولكنني أَبكي وأندبُ زهرةً   جناها ولوعٌ بالزهورِ لعوبُ

رآها يحلُّ الفجرُ عَقْدَ جفونِها   ويُلقِي عليها تبرَهُ فيذوبُ

وينفضُ عن أُعطافها النورَ لؤلؤاً   من الطلِّ ما ضُمتْ عليه جيوبُ

فعالجها حتى استوتْ في يمينه   وعادَ إلى مغناهُ وهو طروبُ

وشاءَ فأَمستْ في الإناء سجينةً   لتشبعَ منها أَعينٌ وقلوبُ

ثَوَتْ بين جدرانٍ كقلبِ مُضيمها   تلمَّسُ فيها منفذاً فتخيبُ

فليستْ تحيي الشمسَ عند شروقها   وليستْ تحيي الشمسَ حينَ تَغيبُ

ومَنْ عُصبتْ عيناهُ فالوقتُ كلُّه   لديه، وإن لاحَ الصباحُ، غروبُ

*

لها الحجرةُ الحسناءُ في القصرِ إنما أحبُّ إليها روضةٌ وكثيبُ

وأجملَ من نورِ المصابيحِ عندها حباحبُ تمضي في الدجى وتؤوبُ

ومن فتياتِ القصرِ يرقصنَ حولها على نَغَمَاتٍ كلهنَّ عجيبُ

تراقصُ أغصانُ الحديقةِ بكرةً وللريحِ فيها جَيْئَةٌ وَذَهوبُ

وأجملَ منهنَّ الفراشاتُ في الضحى لها كالأَماني سكنةٌ ووثوبُ

وأَبهى من الديباجِ والخزِّ عندها فراشٌ من العشبِ الخضيلِ رَطيبُ

وأحلى من السقف المزخرف بالدُّمى فضاءٌ تشعُّ الشهبُ فيه رحيبُ

تحنُّ إلى مرأى الغديرِ وصوتِهِ وتحرمُ منه، والغديرُ قريبُ

وليسَ لها للبؤسِ في نَسَمِ الرُّبى نصيبٌ، ولم يسكنْ لهنَّ هبوبُ

إذا سُقيتْ زادتْ ذبولاً كأنما يرشُّ عليها في المياهِ لهيبُ

وكانت قليلُ الطَّلِ ينعشُ روحَهَا وكانتْ بميسورِ الشُّعاعِ تطيبُ

بها من أُنوف الناشقينَ تَوَعُّكٌ وَمِنْ نظراتِ الفاسقينَ ندوبُ

تمشَّى الضنى فيها وأَيارُ في الحمى وجفَّتْ وسربالُ الربيعِ قشيبُ

ففيهـا كمقطـوعِ الوريـدينِ صُـفرةٌ وفيهـا كمـصباحِ البَخيـلِ شـحوبُ

أيـا زهـرةَ الـوادي الكئيبـةَ إنـني حـزينٌ لمـا صـرتِ إليـهِ كئيـبُ

وأَكثـرَ خـوفي أَن تظـني بـني الـورى سـواءً، وَهُـمْ مثـلُ النبـاتِ ضـروبُ

وأعظـمَ حزنـي أَنَّ خطبـكِ بعـدهُ مـصائبُ شـتّى لم تقـعْ وخطـوبُ

سـيطرحكِ الإنـسانُ خـارجَ دارِهِ إذا لم يكـنْ فيـكِ العـشيةَ طيـبُ

فتُمـسينَ للأَقـدارِ فيـكِ ملاعـبٌ وفي صـفحتيكِ للنعـالِ ضـروبُ

إسـاركِ، يـا أختَ الريـاحينِ، مفجـعٌ وموتـك، يـا بنـتَ الربيـعِ، رهيـبُ

ولكنهـا الـدنيا، ولكنـه القـضا وهـذا، لَعَمْـري، مثـل تلـكَ غريـبُ

فكـمْ شَـقِيَتْ في ذي الحيـاةِ فـضائلٌ وكـم نَعِمَـتْ في ذي الحيـاةِ عيـوبُ

وكـمْ شـيمٍ حـسناءَ عاشـتْ كأنهـا مـساوئُ يُخـشى شـرُّها وذنـوبُ

شكوى فتاة

نظمها بلسان فتاة أرغمها ذووها
على الاقتران برجل طاعن في العمر

لـــيَ بَعْــلٌ ظنَّــهُ النــاسُ أَبــي صــــدِّقوني أَنــــه غـــيرُ أَبــــي
واعـدِلوا عَـنْ لـومِ مَـنْ لـو مَزَجَـتْ مــا بهــا بالمــاءِ لَــمْ يُــسْتَعْذَبِ
ربَّ لَـــوْمٍ لم يَفِــدْ إلا العَنَــا كَــمْ ســهامٍ سُــدِّدَتْ لم تَــصِبِ؟
يــشتكي المَــرْءُ لمــن يَرثــي لَــهُ رُبَّ شــكوى خَفَّفَــتْ مــن نَــصَبِ

*

زعمـــوا أن الغـــواني لِعَـــبٌ إنمــا اللعبــةُ طبعــاً للــصبي
وأَنــا مــا زلــتُ في شَــرْخِ الــصِّبا فلمــاذا فَــرَّطَ الأَهلــونَ بــي؟
لـــيَ قَـــدٌّ وجمـــالٌ يـــزدري ذاكَ بالغُـــصْنِ وذا بالكَوْكَـــبِ
قد جرى حبُّ العُلى مجرى دمي فهــي سُــؤْلي والوَفَــا مــن مَــشْرَبي
أنـــا لـــو يعلَـــمُ أَهلـــي دُرَّةٌ ظُلِمَــتْ في البَيْــعِ كالمخــشلَبِ[1]

---

١ - الخزر.

أَخَذوا الدينارَ مني بَدَلاً أتراني سلعةً للمكْسَبِ؟

لا، ولكنْ راعهُمْ عَصْرٌ بِهِ سادَ في الفتيانِ حُبُّ الذّهَبِ

ليسَ للآدابِ قَدْرٌ بينهمْ آهِ لو كانَ نُضاراً أَدَبي!

حَسِبُوني حينَ لازمتُ البُكا طفلةً أجهلُ ما يدري أَبي

ثُمَّ بالغولِ أبي هدَّدَني أَينَ مِنْ غولِ المنايا مَهْربي؟

أَشيبٌ لو أَنَّهُ يخشى الدُّجى شابَ ذُعراً منهُ رأسُ الغَيْهَبِ

ليتَ ما بيني وبينَ النومِ من فُرْقَةٍ بيني وبينَ الأَشيبِ

يا لَهُ فظاً كثيرَ الحُزْنِ لا يَعْرِفُ الأُنْسَ قليلَ الطَّرَبِ

يُخْضِبُ الشَّعْرَ ولكنْ عَبَثاً ليسَ تَخْفى لغةُ المستعْرِبِ

قُلْ لأَهلِ الأَرضِ لا تخشوا الرَّدى إنَّهُ مشتغلٌ في طلبي

ولمنْ يَعْجَبُ مِنْ بُغْضي لَهُ أَيها الجاهلُ أَمري اتَّئِبِ

إنما الغُصْنُ إذا هبَّ الهوا مالَ للأَغْصانِ لا للحَطَبِ

وإذا المرءُ قَضَى عَصْرَ الصِّبا صارَ أَولى بالرَّدى من مذهبي

أمنية المهاجر*

جُعـتُ والخُبـزُ وثـيرٌ في وِطَـابي   والسّنا حَـولي وروحـي في ضَـبابِ

وَشَـربتُ المَـاءَ عَـذباً سـائِغاً   وكـأنِّي لمْ أَذُقْ غَـيرَ سَـرابِ

مِحنـةٌ لَـيسَ لهـا مِثـلٌ سـوى   مِحنَـةِ الـزَّورَقِ في طَـاغي العُبـابِ

لَـيسَ بـي داءٌ ولكـني امـرؤٌ   لَـستُ في أَرضـي وَلا بَـينَ صِـحابي

مَـرَّتِ الأعـوامُ تَتلُـو بَعـضها   لِلوَرى ضِحكي ولي وَحدي اكتِئابي

كُلَّمـا اسـتَولَدتُ نَفـسي أَمـلاً   مَـدَّتِ الـدُّنيا لـهُ كـفَّ اغتِـصابِ

أُفلتَـتْ مـني حَـلاَوَاتُ الـرُّؤى   عِنـدَما أُفلِـتَ مِـن كَفِّـي شَـبابي

بِـتُّ لا الإلهـامُ بـابٌ مُـشرَعٌ   لـي ولا الأَحـلاَمُ تمـشي في رِكـابي

أَشـتَهي الخَمـرَ وكَأسـي في يَـدي   وَأُحِـسُّ الـرُّوح تَعـرى في ثيـابي

---

* أُلقيت بمناسبة زيارة وزير خارجية سورية الولايات المتحدة في خريف ١٩٥٢.

رَبِّ هَـــبني لِـــبلادي عَـــودَةً وَلــيَكُنْ للغـيرِ في الأُخـرى ثـوابي

* * *

أيُّهـا الآتـونَ مِـن ذاكَ الحِمـى يـا دُعـاةَ الخَـيرِ، يـا رمـزَ الـشَّبابِ

كـمْ هَشَـشتُمْ وَهَشَـشنا للمُنـى وَبَكيـــتُمْ وبَكينـــا في مُـــصابِ

واشـــتَرَكنا في جهـادٍ أو عَـذابِ والتقَينــا في حَـديثٍ أَو كِتــابِ

وَعـــرفتمْ وعَرَفنـــا مِـــثلَكم أَنَّمـا الحَـقُّ لِـذي ظُفـرٍ ونـابِ

كـلُّ أرض نـامَ عَنهـا أَهلُهـا فهـي أَرضٌ لاغتِـصابٍ وانتِهـابِ

زَعَمـوا الإنـسانَ بـالعِلْمِ ارتَقـى وأَراهُ لم يَـــزَل إنـــسَانَ غَـــابَ

إنَّـهُ الثَّعلَـبُ مَكـراً وهـو كالـسِّرّ طَـانِ غَـدراً وحَكـيمٌ كـالغُرابِ

يـا رِفـاقي حَطِّمـوا أقـداحَكمْ لَـيسَ في الـدُّنيا رَحيـقٌ لانـسِكابِ

جَفَّ ضرعُ الشِّعرِ عِندي وانطوى وَلَكَـم عَـاشَ لِمرعَـى واحـتِلاَبِ

* * *

أيُّهـا الـسَّائِلُ عَـني مَـن أنـا أَنـا كالـشَّمسِ إلى الشَّرق انتِسابي

لُغــــةُ الفــــولاذِ هَاضَـــتْ لُغـــتي لا يَعيشُ الشَّدْو في بحرِ اصطِخابِ

لَستُ أَشكُو إن شَكا غَيري النَّوى غُربَـــةُ الأَجـــسَام ليـــسَتْ بـــاغترابِ

أَنـــا في نيويـــوركَ بالجِـسمِ وبـــالرُّ وحِ وفي الـشَّرقِ عَلـى تِلـكَ الهِـضابِ

في ابتِسَامِ الفَجرِ في صَمتِ الدُّجى في أَســـى "تِـــشرينَ" في لَوعَـــةِ "آبِ"

أَنـــا في الغُوطَـــةِ زَهـــرٌ وَنَـــدى أَنـــا في لُبنـــانَ نجـــوى وتَـــصَابي

إنَّـــــني أَلَمَـــــحُ في أَوجُهِكـــــم دَفقَـــةَ النُّـــورِ عَلـــى تلـــكَ الرَّوابـــي

وَأَرى أَشـــــباحَ أيَّـــــامٍ مَـــــضَتْ في كِفـــــاحٍ وَنِـــــضَالٍ وَوِثـــــابِ

وأَرى أَطيـــــافَ عَـــــصرٍ بـــــاهِرٍ طَالِعٍ كالشَّمسِ منْ خَلفِ الحِجابِ

لَيتَـــــهُ يُـــــسرعُ كـــــي أُبـــــصِرَهُ قَبـــلَ أَن أَغـــدُو تُربـــاً في تُـــرابِ

موكب التراب

في يوم من أيام الصيف الشديد الحر
كان الشاعر جالساً مع بعض أصحاب
له أمام داره فهبت ريح شديدة أثارت الغبار
وعقدته في الفضاء كالسرادق.
وكان في مشهد الغبار ما حمله على التفكير
فنظم القصيدة التالية:

مـــن أيـــنَ جِئْـــتَ؟ وكيـــفَ عَجْـــتَ ببـــابي؟
يـــا موكـــبَ الأَجيـــالِ والأَحقـــابِ

أَمِنَ القبـورِ؟ فكيـفَ مـن حَلّـوا بهـا ... أَهنـــاكَ ذو أَلَـــمٍ وذو تطـــرابِ؟
ولهـــمْ صـــباباتٌ لنـــا؟ أَمْ غـــودروا ... في بَلْقَـعٍ مـا فيـهِ غـيرُ خَـرَابِ؟

***

أَمـــررتَ بالأعـشابِ في تلـكَ الرُّبـى ... وذكـرتَ أَنـكَ كنـتَ في الأَعشابِ
حَـوْلَ الـصخورِ النائمـاتِ علـى الثَّرَى ... وعلـى حواشـي الجـدولِ المُنـسابِ

وعلى مَ تصعدُ كالسحابَةِ في الفَضَا　　وإلى التراب مصيرُ كلِّ سحابِ

لما طلعتَ على الشعاعِ موزَّعاً　　مترجرجاً كخواطرِ المرتابِ

وذهبتَ في عَرْضِ الفضاءِ كَخَيْمَةٍ　　رُفِعَتْ بلا عُمُدٍ ولا أطنابِ

قالَ الصحابُ لي: استترْ، وتراكضوا　　للذعرِ يعتصمونَ بالأبوابِ

وَهَبِ اتقيتُكِ بالحجابِ فإنني　　لا بدَّ خالعهُ وأَنتَ حجابي

كم سارحٍ في غابةٍ عندَ الضحى　　جاءَ المساءُ فكانَ بعضَ الغابِ

ومصفقٍ للخمرِ في أكوابِهِ　　طَرَباً، وطيفُ الموتِ في الأَكوابِ

أنا لو رأيتُ بكَ القَذَى، محضَ القذى،

لسترتُ وجهي عنكَ مثلُ صِحَابي

لكنْ شهدتُ شبيبةً، وكهولةً،　　ومنىً، وأحلاماً بغيرِ حسابِ

والشاربينَ بكلِّ كأسٍ، والأُلى　　عاشوا على ظَمَأٍ لكلِّ شرابِ

والضاربينَ بكلِّ سَيْفٍ في الوغى،　　والخانعينَ لكلِّ ذي قِرْضابِ[1]

---

١ - القرضاب: السيف القطّاع.

والـصارفينَ العمـرَ في سُـوقِ الهـوى والــصارفينَ العمــرَ في المِحْــرابِ

والغيـــدَ بـــينَ جميلـــةٍ ودميمـــةٍ والعاشِـقَيْنِ ـ الـصبَّ والمُتَـصَابي

والعبـــــدَ في أَغلالِـــــهِ وحبالِـــــهِ والملـــك في الـــديباجِ والأَطيـــابِ

آبـــوا جميعـــاً في طريـــقٍ واحـــدٍ الخاســـرَ المـــسبيِّ مثـــلَ الـــسابي

فضحكتُ من حرصي على مَلكِ الصبا وعجبتُ كيفَ مَضَى عليهِ شبابي

ووقعـــتَ أَنـــتَ علـــى تـــرابٍ ضـــاحكٍ لمـــا وقعـــتَ علـــيَّ في جلبـــابي

وكـــذاكَ أَشـــواقُ الـــترابِ مآلهـــا ولـــئنْ تقـــادمَ عهـــدُهَا لـــترابِ

تحية الشام

حـــيِّ الـــشآمَ مهنـــداً وكتابـــا والغوطـــةَ الخـــضراءَ والمحرابـــا

ليـــستْ قِبابـــاً مـــا رأيـــتُ وإنمـــا عـــزمٌ تمـــرَّدَ فاســـتطالَ قِبابـــا

فـالثمْ بروحِكَ أَرْضَها تلثمْ عصوراً للعلـــى ســـكنتْ حَـــصًى وتُرابـــا

واهبطْ على بردى يصفِّقُ ضاحكاً يـــستعطفُ التلعـــاتِ والأعـــشابا

روحٌ أَطـــلَّ مـــن الـــسماءِ عـــشيةً فـرأى الجمـالَ هنـا.. فحـنَّ، فـذابا

وصـــفا وشـــفَّ فأَوشـــكتْ ضـــفاتُهُ تنـــسابُ مـــن وَجْـــدٍ بـــهِ مُنـــسابا

بـل أدمـعٌ حـورُ الجنـانِ ذرفْنَهَـا شـــوقاً، ولم تملـــكْ لهـــنَّ إيابـــا

بـردى ذكرُتـكَ للعَطَاشـى فـارتووا وبـــني النُّهـــى فترشَّـــفوكَ رِضـــابا

مـرتْ بـكَ الأَدهـارُ لم تخبـثْ، ولم تفسد، وكم خَبَثَ الزمانُ وطابا

* * *

بـــأبي وأمـــي في العَـــراءِ موسَّـــدٌ بَعَـــثَ الحيـــاةَ مطامعـــاً وَرِغابـــا

لمـــا ثَـــوَى في ميـــسلونَ ترنَّحـــتْ هَـــضَباتُها وتنفَّـــستْ أطيابـــا

وأتى النجومَ حديثُهُ فتهافتتْ لتقومَ حرَّاساً له حجَّابا

ما كانَ يوسفُ واحداً بل موكباً للنورِ غلغلَ في الشموسِ فغابا

هذا الذي اشتاقَ الكرى تحت الثرى كي لا يرى في جلَّقَ الأَغرابا

وإذا نَبَا العيشُ الكريمُ بماجدٍ حرٍّ رأى الموتَ الكريمَ صَوَابا

إني لأُزهى بالفتى وأحبُّهُ يهوى الحياةَ مشقةً وَصِعابا

ويضوعُ عطراً كلما شدَّ الأَسى بيديهِ يعركُ قلبَهُ الوثَّابا

ويسيلُ ماءً إنْ حواهُ فدفدٌ وإذا طواهُ الليلُ شعَّ شهابا

وإذا العواصفُ حجَّبتْ وجهَ السما جَدَلَ العواصفَ للسما أَسبابا

وإذا تقوَّضَ صرحُ آمالٍ بنى أملاً جديداً من رجاءٍ خابا

فابنُ الكواكبِ كلُّ أُفقٍ أُفقهُ وابنُ الضراغمِ ليسَ يَعْدِمُ غابا

*

عجباً لقومي والعدوُّ ببابهمْ كيفَ استطابوا اللهوَ والأَلعابا؟

وتخاذلتْ أَسيافُهُمْ عن سحقِهِ في حينِ كانَ النصرُ منهمْ قَابا

تركوا الحسامَ إلى الكلامِ تعلُّلاً يا سيفُ ليتكَ ما وَجَدْتَ قِرابا

دنياكَ، يا وَطَنَ العروبةِ، غابةٌ حشدتْ عليكَ أَراقماً وَذِئابا

فالبسْ لها ماءَ الحديدِ مطارفاً واجعلْ لسانَكَ مخلباً أَو نابا

لا شَـــرْعَ في الغابـــاتِ إلا شـــرعَهَا فَـــدَعِ الكـــلامَ شـــكايةً وَعِتابـــا

هــذي هــيَ الــدنيا الــتي أحببتَهــا وســقيتَ غــيرَكَ حبَّهــا أَكوبــا

وضـــحكتَ مـــع أحلامِهَـــا، وبكيـــتَ في

آلامهـــا، وجرعـــتَ معهـــا الـــصَّابا

وأَضـلَّ روحَـكَ في الـسُّرى وأَضـلَّهَا مـــا خلتَـــهُ مـــاءً فكـــانَ سَـــرَابا

ونظـرتَ، والأوصـابُ تـنهشُ قلبَهَـا، فرأيـــتَ كـــلَّ لـــذاذةٍ أَوصـــابا

شـاءَ الظلـومُ خرابَهَـا فـإذا الـورى لا يبـــصرونَ ســـوى نُهـــاهُ خَرَابـــا

دنيـــا تـــألَّقَ أَمـــسُهَا في يومِهَـــا فاســـتجمعَ الأَنـــسابَ والأَحـــسابا

وســرى ســناءُ الــوَحْيِ مِــنْ آفاقِهَــا يغـشى العـصورَ ويغمـرُ الأحقابـا

أَلحـــقُّ مـــا رفعـــتْ بـــهِ جُـــدرانُها والخـــيرُ مـــا زانـــتْ بـــهِ الأبوابـــا

فاســتنطقِ التــاريخَ هــلْ في سِــفْرِهِ مجـدٌ يُـضاهي مجـدَهَا الخلاَّبـا؟

شـــابتْ حـــضاراتٌ، ودالـــتْ وانطـــوتْ أُمَـــمٌ، ومجـــدُ أُميـــةٍ مـــا شـــابا

الأَمـــسُ كـــانَ لهـــا وإِنَّ لهـــا غَـــداً تتلفَّـــتُ الـــدنيا لَـــهُ إِعجابـــا

غنّيـــتَ مـــن قبـــلُ المحولـــةَ والعَـــرَا أَفـلا تغـني الروضـةَ المِخْـصابا؟

عطفـــتْ لياليهَـــا عليـــكَ بـــشاشةً فـــانسَ الليـــالي غُرْبَـــةً وَعَـــذَابا

وانـــشرْ جناحَـــكَ فالفـــضاءُ منـــوِّرٌ واملأْ كؤوسَكَ قد وَجَدْتَ شَرَابا

فَلِـشَدْوِ مثلـكَ كُوِّنـتْ، ولمثلـها خلَـقَ الإلـهُ البلبـلَ المِطرابـا

*

ليـتَ الريـاضَ تُعيرنـي أَلوانَهَـا لأَصـوغَ منهـا للـرئيسِ خِطَابـا

وأقـولَ إنـي عـاجزٌ عـن شـكرِهِ عجـزَ الأنامِـلِ أَنْ تَلُـم عُبَابـا

أَشـكو إلى نفـسي العَيـاءَ فتـشتكي مثلـي، وتـصمتُ لا تَحـيرُ جوَابـا

فلقـدْ رَأيـتُ البحـرَ حـينَ رأَيتُـهُ فوقفـتُ مـضطربَ الـرؤى هيَّابـا

أَعميـدَ سـورّيا وكاشـفَ ضَـرِّها خلقـتْ يـداكَ مِنَ الـشيوخِ شَبَابا

وبلابـلٌ كانـتْ تَـئِنُّ سـجينةً أطلقَتهَـا وأَطرَتَهـا أَسـرابا

يا صاحبَ الخلقِ المصفَّى كالنَّدى لـو لم تكـنْ بَـشَراً لكنـتَ سَـحابا

أَمَـلُ الـشبيبةِ في يـديكَ وديعـةٌ فـارفعْ لهـا الأَخـلاق والآدابـا

فالجهـلُ أَنّـى كـانَ فهـو عقوبـةٌ، والعلـمُ أَنّـى كـانَ ثَوَابـا

يـا ويـحَ نفسي كمْ تطارِدُني النَّوى وتهـدُّ مـني القلـبَ والأَعـصابا

وَدَّعْـتُ خلـفَ البحـرِ أمـسِ أَحبـةً وغـداً أُودِّعُ هـا هنـا أَحبابـا

الرجل والمرأة

يَــا رُبَّ قائلـــةٍ والقـــولُ أَجملُـــهُ ما كانَ من غادةٍ حتى ولو كَذَبَا

إلى مَ تُحْتَقَــرُ الغــادات بيــنكمُ وَهُــنَّ في الكَـوْنِ أَرقى مـنكُم رُتَبَـا

كُـنَّ لكـم سـبباً في كـلِّ مَكْرُمَـةٍ وكنـتمُ في شـقاءِ المـرأَةِ الـسَّبَبَا

زعمـــتمُ أَنهـــنَّ خـــاملاتِ نُهَـــىً ولــو أَرَدْنَ لــصيَّرنَ الثَّـرى ذَهَبَـا

فقلــتُ لــو لم يَكَــنْ ذا رأيُ غانيــةٍ لهاج عندَ الرِّجالِ السُخْطَ والصَّخَبَا

لم تُنــصفينا وقــد كنــا نُؤَمَّــلُ أَنْ لا تنـصفينا لهـذا لا نـرى عَجَبَـا

هيهــاتِ تَعْــدِلُ حــسناءُ إذا حكَمَــتْ فالظُّلْمُ طَبْعٌ على الغاداتِ قد غَلَبَا

*

يُحــارِبُ الرَّجُــلُ الــدُّنيا فَيُخْـضِعَها ... ويفــزَعُ الــدَّهْرُ مــذعوراً إذا غَـضِبَا

يرنـــو فتــضطربُ الآســـادُ خائفـــةً ... فإنْ رَنَتْ ذاتُ حُسْنٍ ظَلَّ مُضْطَرِبا

فـــإن تـــشأ أَودعـــتْ أحـــشاءَهُ بَـــرَداً ... وإن تـــشأْ أَودعـــتُ أَحـــشاءَهُ لَهَبَـــا

يَفْـــني الليـــالي فِي هَـــمٍّ وفِي تَعَـــبِ ... حـذارِ أن تـشتكي مـن دَهْرِهـا تَعَبَـا

ولــو دَرَى أَنَّ هــذي الـشهبَ تُزعجُهــا ... أَمــسى يــروعُ فِي أفلاكهــا الـشُّهُبَا

يــشقى لتــصبحَ ذاتُ الحَلْــي ناعمــةً ... ويحمــلُ الهــمَّ عنهــا راضــياً طَرِبَــا

فمــا الــذي نَفَحَتْــهُ الغانيــاتُ بــهِ ... سوى العذابِ الذي فِي عَيْنِهِ عَذُبَا؟

هــذا هــو المـرءُ يــا ذاتَ العفــافِ فَمَــنْ ... يُنْـصِفْهُ لا شـكَّ فيـه يُنـصفُ الأَدَبَـا

عنَّفتـــهِ وهـــو لا ذنـــبَ جنـــاهَ ســـوى ... أَن لـيسَ يَرْضَـى بـأَنْ يغدو لها ذَنَبَـا

يا صاح!..

يَـا صَـاحِ كَـمْ تُفَّاحَـةٍ غَـضَّة — يَحمِلُهَـا فِي الـرَّوْضِ غصنٌ رَطِيـبْ

نَاضِـجَةٍ تَـرْتجُّ فِي جوِّهـا — مثل ارْتِجَـاجِ الـشَّمْسِ عنـدَ المَغيـبْ

حَرّضَـكَ الوَجْـدُ عَلَـى قَطْفِهَـا — لَمَّـا غَفَـا الوَاشِـي وَنَـامَ الرَّقيـبْ

لكـنْ لأمـرٍ أَنـتَ أَدْرَى بـهِ — رَجَعْـتَ عَنْهَـا رَجْعَـةَ المُـستَرِيبْ

تَقـولُ لِلْـنَفْس الطَّمـوحِ اقْـصري — مـا سـرْقَةُ التفَّـاحِ شَـأنَ الأَريـبْ

*

وَرُبَّ صَـفْرَاءَ كَلَـوْنِ الـضُّحَى — يَنْفِـي بهَـا أَهْـلُ الكُـروبِ الكُـرُوبْ

دَارَتْ عَلَـى الـشَّرْبِ بهَـا غَـادَةٌ — كأنَّهـا ظَبْـيُ الكِنَـاسِ الرَّبيـبْ

فِي طَرْفِـكَ الـسَّاجي هُيَـامٌ بهَـا — وَبَـيْنَ أَحْـشَائكَ شَـوقٌ مُـذِيبْ

لكـنْ لأمْـرٍ أَنـتَ أَدْرَى بـهِ — رَجَعْـتَ عَنهـا رَجْعَـةَ المُـسْتَرِيبْ

تقـولُ لِلّـنفْسِ الطّمُـوحِ اقْـصِري — مـا غُـرَّ بالـصَّهْبَاءِ يَوْمـاً لَبيـبْ

إيَّـاكِ إيَّـاكِ وأكوابَهَـا — أُخْـتُ الخَنَـا هـذي وأُمُّ الـذُّنوبْ

*

وَكَـــمْ شِـــفَاهٍ أُرْجُوَانِيَّـــةٍ كأنَّهـــا مَخْـــضُوبَةٌ باللّهيـــبْ

سَـــاعَدكَ الـــدّهْرُ عَلـــى لَثْمِهَـــا وَرَشْفِ ما خَلْفَ اللَّهيبِ العَجيبْ

لكـــنْ لأمْـــرٍ أنـــتَ أدْرَى بـــهِ رَجَعْـــت عَنْهَـــا رَجْعَـــةَ المُـــسْتَرِيبْ

تُعَنِّـــفُ القَلْـــبَ عَلـــى غَيِّـــهِ وَتَعْـــذُلُ العَـــيْنَ الـــتي لا تُنِيـــبْ

قَتَلْـــتَ نَزْعَاتِـــكَ فِي مَهْـــدِهَا وَلَـمْ تُطِـعْ فِي الحُـبِّ حتَّى الحَبِيبْ

*

والآنَ لَمَّـا انْجَـابَ عَنْـكَ الـصِّبَى وَلاحَ فِي المَفْـــرِقِ ثَلْـــجُ المَـــشِيبْ

واسْتَسْلَمَ القَلْبُ كما استَسْلَمَتْ نَفْسُكَ لِلْيأسِ المَخُوفِ الرَّهيبْ

أرَاكَ لِلْحَـــسْرَةِ تَبكـــي كمَـــا يَبْكِي عَلى النَّائي الغَريبِ الغَريبْ

تَـــوَدُّ لَـــوْ أنَّ الـــصِّبَى عَائِـــدٌ هَيْهَاتَ قَدْ مَرَّ الزَّمانُ القَشِيبْ

*

خَلِّ البُكَا يَا صاحِبي والأسى اللَّيْلُ لا يُقْصِيهِ عَنْكَ النَّحيبْ

لا خَيْرَ فِي الشَّيءِ انْقَضَى وَقْتُهُ ما لِقَتيلٍ حاجَةٌ بالطَّبيبْ!!!

الطلاسم

جِئْـــتُ، لا أعلَـــمُ مِـــن أيْـــنَ، ولكنِّـــي أتَيْـــتُ

وَلَقَـــدْ أبـــصَرتُ قُـــدَّامي طَريقـــاً فَمَـــشَيْتُ

وسَـــأبقى مَاشـــياً إن شِـــئتُ هـــذا أمْ أبَيْـــتُ

كيـــف جِئـــتُ؟ كيـــفَ أبـــصَرتُ طريقـــي؟

لَـــــــــــــستُ أدري!

*

أجَديـــــدٌ أم قَـــــديمٌ أنـــــا في هـــــذا الوُجـــــودْ

هَـــلْ أنـــا حُـــرٌّ طَليـــقٌ أم أســـيرٌ في قيـــودْ

هَـــلْ أنـــا قَائِـــدُ نَفـــسي في حَيـــاتي أم مَقُـــودْ

أتمنَّـــــــــى أنَّـــــــــني أدري ولكـــــــــنْ...

لَـــــــــــــستُ أدري!

*

وطَريقي، ما طَريقي؟ أطَويلٌ أم قصيرْ؟

هَلْ أنا أصعَدُ أمْ أهبطُ فيهِ وأغُورْ

أأنا السّائِرُ في الدّرب أم الدربُ يَسيرْ

أمْ كلانَا واقِفٌ والدّهرُ يجري؟

لَستُ أدري!

*

لَيتَ شِعري وأنا في عَالَمِ الغَيبِ الأمينْ

أتُراني كُنتُ أدري أنَّني فيهِ دَفينْ

وَبأنِّي سَوفَ أبدو وبأنِّي سأكونْ

أمْ تُراني كُنتُ لا أُدركَ شَيْئاً؟

لَستُ أدري!

*

أتُرَاني قَبلَما أصبَحتُ إنساناً سَويًّا

أتُراني كُنتُ مَحواً أمْ تُراني كُنتُ شَيًّا

ألِهذا اللُّغز حَلٌّ أم سَيَبقى أبدِيًّا

لَـــــــــستُ أدري... وَلِمـــــــاذا لَـــــــستُ أدري؟

لَــــــــــــــستُ أدري!

*

البحر:

قــد سَــألتُ البَحــرَ يَومــاً هَــلْ أنــا يــا بَحــرُ مِنكــا؟

هَـــلْ صَـــحيحٌ مـــا رواهُ بَعْـــضُهُمْ عَـــني وعَنكـــا؟

أم تُـــرى مـــا زَعَمـــوا زُوراً وبُهتانـــاً وإفْكـــا؟

ضَـــــحِكَتْ أمواجُـــــهُ مِـــــني وقَالَـــــتْ:

لَــــــــــــــستُ أدري!

*

أيُّهــا البَحــرُ، أتــدري كــمْ مَــضَت ألــفٌ عَلَيكــا

وَهـــلِ الـــشَّاطئُ يـــدري أنَّـــهُ جَـــاثٍ لـــديكا

وَهَـــلِ الأنهـــارُ تَـــدري أنَّهـــا مِنـــكَ إليكـــا

مـــا الَّـــذي الأمـــواجُ قالَـــت حـــينَ ثـــارَت؟

لَــــــــــــــستُ أدري!

*

أنــــتَ يـــا بحـــرُ أســـيرٌ آهِ مـــا أعظَـــمَ أســـرَكْ

أَنـــتَ مِثلـــي أيُّهـــا الجَبَّـــارُ لا تملِـــكُ أمـــرَكْ

أشـــبَهَتْ حَالُـــكَ حَـــالي وحَكـــى عُـــذري عُـــذرَكْ

فَمَتَـــــى أنجـــــو مِـــــنَ الأَسْـــــرِ وَتَنجُـــــو؟

لَـــــــــــــستُ أدري!

*

تُرسِـــلُ الـــسُّحبَ فَتَـــسقي أرضَـــنا والـــشَّجَرا

قَـــد أكلنـــاكَ وقُلنـــا قـــد أكلنـــا الثَّمَـــرا

وشَـــربناكَ وقُلنـــا قَـــد شَـــربنا المَطَـــرا

أصَـــــوابٌ مَـــــا زَعمنـــــا أم ضَـــــلالُ؟

لَـــــــــــــستُ أدري!

*

قَـد سَـألتُ الـسُّحبَ في الآفـاقِ هَـل تَـذكرُ رَملَـكْ

وسَـــألتُ الـــشَّجَرَ المـــورِقَ هَـــل يَعـــرفُ فَـــضلَكْ

وسَـــألتُ الـــدُّرَ في الأعنـــاقِ هَـــل تـــذكرُ أصـــلَكْ

وكـــــــأنّي خِلتُهـــــــا قَالَـــــــتْ جَميعـــــــاً:

لَـــــــــــــــــستُ أدري!

*

يَـــرقُصُ المَـــوجُ وفي قاعِـــكَ حَـــربٌ لَـــنْ تَـــزولا

تَخلُـــقُ الأسمـــاكَ لكـــنْ تخلُـــقُ الحُـــوت الأكـــولا

قَـــد جَمعـــتَ المَـــوتَ في صَـــدركَ والعَـــيشَ الجَمـــيلا

لَيْــــتَ شِـــــعري أَنـــــت مَهْـــــدٌ أَمْ ضَـــــريحٌ؟..

لَـــــــــــــــــسْتُ أَدري!

*

كَـــمْ فَتـــاةٍ مِثـــلِ لَيلـــى وفَتًـــى كـــابْنِ المُلَـــوَّحْ

أنفقَـــا الـــسَّاعَاتِ في الـــشَّاطئِ، تَـــشْكُو وهـــوَ يَـــشْرَحْ

كلَّمـــــا حَـــــدَّثَ أصْـــــغَتْ وإذا قَالَـــــتْ تَـــــرَنَّحْ

أحَفيـــــــفُ المَـــــــوجِ سِـــــــرٌّ ضَـــــــيَّعاهُ؟..

لَـــــــــــــــــسْتُ أَدري!

*

كَـــمْ مُلُـــوكٍ ضَـــربَوا حَولَـــكَ في اللَّيْـــلِ القِبابَـــا

طَلَـــعَ الــــصُّبْحُ ولكــــن لم نجـــدْ إلاَّ الـــضَّبابَا

أَلَهــــم يــــا بحــــرُ يَوْمــــاً رَجعَــــةٌ أَم لا مآبَــــا

أَم هُــــم في الرَّمــــلِ؟ قــــالَ الرَّمــــلُ إنــــي..

لَــــــــــــــسْتُ أدري!

*

فِيــــكَ مِثلــــي أيُّهــــا الجَبَّــــارُ أَصــــدافٌ ورَمْــــلُ

إنَّمــــا أنْــــتَ بــــلاَ ظِــــلٍّ وَلــــي في الأَرْضِ ظِــــلٌّ

إنَّمــــا أَنْــــتَ بِــــلا عَقْــــلٍ ولــــي، يــــا بحــــرُ، عَقْــــلُ

فَلِمــــاذا، يــــا تُــــرَى، أَمــــضِي وَتَبقــــى؟..

لَــــــــــــــسْتُ أَدري!

*

يــــا كِتــــابَ الــــدَّهرِ قــــلْ لــــي أَلَــــهُ قَبــــلٌ وبَعْــــدُ

أنــــا كــــالزَّوْرَقِ فيــــهِ وهــــوَ بَحْــــرٌ لا يُحَــــدُّ

لَــــيْسَ لــــي قَــــصْدٌ فهــــلْ للــــدهرِ في سَــــيْرِيَ قَــــصْدُ

حَبَّـــــذا العِلــــمُ، وَلكــــنْ كيــــفَ أدري؟..

لَــــــــــــسْتُ أدري!

*

إنَّ فيْ صَــــدريَ، يـــا بَحْـــرُ لأسـوراراً عجَابَـــا

نَـــزَلَ الـــسِّتْرُ عَليهـــا وأنـــا كُنْـــتُ الحِجابَـــا

ولِــــذا أزدادُ بُعــــداً كُلَّمـــا ازددتُ اقْترابَـــا

وأُرانــــــي كلَّمــــا أَوْشَــــكْتُ أَدري..

لَــــــــــــسْتُ أدري!

*

إنَّـــني، يـــا بَحْـــرُ، بَحْـــرُ شـــاطِئاهُ شَـــاطِئاكا

الغَـــدُ المَجهـــولُ والأَمـــسُ اللّـــذانِ اكْتَنَفاكـــا

وَكلانـــا قطـــرَةٌ، يـــا بَحْـــرُ، فيْ هـــذا وذاكَ

لا تَـــسَلني مـــا غَـــدٌ، مَـــا أَمـــسُ؟.. إنـــي...

لَــــــــــــسْتُ أَدري!

*

الدير:

قيـــلَ لـــي في الـــدَّيرِ قَـــومٌ أدرَكـــوا سِـــرَّ الحَيـــاةْ

غَيْـــرَ أنِّـــي لَـــمْ أجِـــدْ غَيْـــرَ عُقـــولٍ آســـناتْ

وقُلُـــوبٍ بلَيـــت فيهـــا المُنـــى فَهـــيَ رُفـــاتْ

مـــا أنـــا أعمـــى فهـــل غَيْـــرِيَ أعمـــى؟..

لَـــــــــــــسْتُ أدري!

*

قيـــلَ أدرى النَّـــاسِ بالأســـرارِ سُـــكَّانُ الـــصَّوامِعْ

قُلْـــتُ إنْ صَـــحَّ الَّـــذي قَـــالوا فَـــإنَّ الـــسِّرَّ شَـــائِعْ

عَجَبـــاً كيـــفَ تَـــرَى الـــشَّمسَ عُيـــونٌ في البراقِـــعْ

وَالـــــتي لَـــــمْ تَتَبَرْقَـــــعْ لا تَراهـــــا؟..

لَـــــــــــــسْتُ أدري!

*

إنْ تَـــكُ العزْلَـــةُ نُـــسكاً وتُقـــى فالـــذِّئبُ راهِـــبْ

وعَـــرِينُ اللَّيـــثِ دَيْـــرٌ حُبُّـــهُ فَـــرضٌ وواجِـــبْ

لَيــتَ شِــعري أيُميــتُ النُّــسْكُ أمْ يحيــي المَواهــبْ

كَيْــفَ يَمحــو النُّــسكُ إثْمــاً وهــوَ إِثْــمٌ؟..

لَــــــــــــسْتُ أدري!

*

إنــــني أبــــصَرتُ فيَّ الــــدَّيرِ وُروداً في سِــــيَاجِ

قَنِعــتْ بَعــدَ النَّــدى الطَّــاهرِ بالمــاءِ الأَجــاجِ

حَوْلَهــا النُّــورُ الــذي يحيــي، وتَرضــى بالــدَّياجي

أمِــــنَ الحِكمَــــةِ قَتْــــلُ القَلــــبِ صَــــبْراً؟..

لَــــــــــــسْتُ أدري!

*

قَــد دخلــتُ الــدَّيرَ عِنــدَ الفَجــرِ كــالفجر الطَّــروبْ

وتَرَكــتُ الــدَّيرَ عِنــدَ اللّيــلِ كاللَّيــل الغَــضُوبْ

كــانَ فيْ نَفــسي كَــربٌ، صَــارَ فيْ نَفــسي كُــروبْ

أمِــــنَ الــــدَّيرِ أم اللّيــــلِ اكتِئــــابي؟

لَــــــــــــستُ أدري!

*

قَــد دَخَلــتُ الــدَّيرَ أســتنطِقُ فيــهِ الناســكينا

فــإذا القَــومُ مِــنَ الحــيرَةِ مِثلــي باهِتونــا

غَلَــبَ اليَــأسُ عَلَــيهِم، فهــمُ مُستَــسلِمُونا

وَإذا بالبــــابِ مَكتــــوبٌ عَليــــهِ...

لَــــستُ أدري!

*

عَجَبــاً للنَّاسِــكِ القانِــتِ وهــو اللَّــوذَعي

هَجَــرَ النَّــاسَ وفــيهم كــلُّ حُــسنِ المُبــدعِ

وغَــدا يَبحــثُ عَنــهُ في المَكــانِ البَلقَــعِ

أرأَى في القَفْــرِ مــاءً أم سَــرابا؟..

لَــــستُ أَدري!

*

كــم تُمــارِي، أيُّهــا النَّاسِــكُ، في الحَــقِّ الــصَّريحْ

لَــو أرادَ اللّه أن لا تَعــشَقَ الــشَّيءَ المَلــيحْ

كــانَ إذ سَــوَّاكَ سَــوَّاكَ بــلاَ عَقــلٍ وروحْ

فالّـــــذي تَفعَــــــلُ إثـــــمٌ... قــــالَ إنـــــي...

لَـــــــــــــستُ أدري!

*

أيُّهـــــا الهــــاربُ إنَّ العَـــــارَ في هـــــذا الفِـــرارِ

لا صَـــــلاحٌ في الّـــــذي تَفعَــــــلُ حَتَّـــــى للقِفـــــارِ

أنـــــتَ جَـــــانٍ أيُّ جَـــانٍ، قاتِـــــلٌ في غَــــيرِ ثـــارِ

أفَيَرضَـــــــــى اللّهُ عَـــــن هــــــذا ويَعفـــــو؟..

لَـــــــــــــستُ أدري!

*

بين المقابر:

ولَقَـــــدْ قُلـــــتُ لِنَفــــسي، وأنـــــا بـــــينَ المَقـــــابرْ

هَـــلْ رَأيـــتِ الأَمْـــنَ والرَّاحَـــةَ إلاّ في الحَفَـــائِرْ؟

فَأشـــــارتْ: فـــــإذا لِلــــدُّودِ عَيـــــثٌ في المَحَـــــاجِرْ

ثُـــــمَّ قالـــــتْ: أيُّهـــــا الـــــسّائِلُ إنـــــي...

لَـــــــــــــستُ أدري!

*

أُنظُــري كَيــفَ تَــسَاوى الكــلُّ في هــذا المَكــانِ

وتَلاَشَـــــى في بَقايــــا العَبـــدِ ربُّ الــــصَّولَجانِ

وَالتَقـــى العَاشِـــقُ والقَـــالي فَمـــا يَفترِقَـــانِ

أفَهـــــذا مُنتَهـــــى العَـــــدلِ؟ فَقَالــــــت...

لَــــــــــــستُ أدري!

*

إنْ يَـــكُ المـــوتُ قِـــصَاصاً، أيُّ ذَنــب للطَّهـــارَهْ

وإذا كــــانَ ثوابــــاً، أيُّ فَـــضل للـــــدَعَارَهْ

وإذا كــــانَ ومـــا فيـــهِ جَـــزاءً أو خَـــسَارَهْ

فَلَـــــمَ الأَسمـــــاءُ إثـــــمٌ أو صَـــــلاَحٌ؟..

لَــــــــــــستُ أدري!

*

أيُّهـــا القَـــبرُ تَكَلَّـــمْ، واخبِـــريني يـــا رِمـــامْ

هـــل طـــوى أحلامَـــكِ المـــوتُ وهـــل مـــاتَ الغَـــرامْ

مَــن هــوَ المَائِــتُ مِــن عَــامٍ ومِــن مليــونِ عــامْ

أيَـــصيرُ الوقـــتُ في الأرمـــاسِ مَحـــواً؟..

لَـــــــستُ أدري!

*

إن يَـــكُ المَـــوتُ رُقـــاداً بَعـــدَهُ صَـــحوٌ طَويـــلْ

فلِمـــاذا لَـــيسَ يَبقـــى صَـــحْوُنا هـــذا الجَميـــلْ؟

ولِمـــاذا المَـــرءُ لا يَـــدري مَتـــى وَقـــتُ الرَّحيـــلْ؟

ومَتـــى يَنكَـــشِفُ الـــسِّرُّ فَيـــدري؟..

لَـــــــستُ أدري!

*

إن يَـــكُ المَـــوتُ هُجُوعـــاً يَمـــلأُ الـــنَّفسَ سَـــلامَا

وانعِتاقـــاً لا اعتِقـــالاً وابتِـــداءً لا خِتامـــا

فَلِمـــاذا أعـــشَقُ النَّـــومَ ولا أهـــوى الحِمامـــا

ولِمـــاذا تجـــزَعُ الأرواحُ مِنـــه؟..

لَـــــــستُ أدري!

*

أوراءَ القَـــبرِ بعـــدَ المَـــوتِ بعْـــثٌ ونُـــشُورُ

فَحَيـــــاةٌ فَخُلـــــودٌ أمْ فَنَـــــاءٌ ودُثُـــــورُ

أكَـــلامُ النَّـــاسِ صـــدقٌ أمْ كَـــلام النـــاس زورُ

أصَــــحيحٌ أنَّ بَعـــضَ النـــاسِ يَـــدري؟..

لَـــــــــــسْتُ أدري!

*

إن أكـــنْ أُبعَـــثُ بعـــدَ المَـــوْتِ جُثمانـــاً وعَقْـــلاً

أتـــرَى أُبعَـــثُ بَعْـــضاً أمْ تُـــرَى أُبعَـــثُ كُـــلاًّ

أتُـــرَى أُبعَـــثُ طِفـــلاً أمْ تُـــرَى أُبعَـــثُ كَهـــلاً

ثُـــمَّ هَـــل أعْـــرِفُ بَعـــدَ المَـــوتِ ذاتـــي؟..

لَـــــــــــستُ أدري!

*

يـــا صَـــديقي، لا تُعَلِّلـــني بِتَمْزِيـــقِ الـــسُّتورِ

بَعـــدَمَا أقـــضي فَعقلـــي لا يُبـــالي بالقُـــشُورِ

إن أكُـــن في حالـــةِ الإدراكِ لا أدري مَـــصيري

كيـــــفَ أدري بعـــــدَما أفْقِـــــدُ رُشـــــدي...

لَـــــــــــــسْتُ أدري!

*

القصر والكوخ:

وَلَقَــد أبــصَرْتُ قــصراً شــاهِقاً عــالي القِبــابْ

قُلــتُ مــا شــادَكَ مَــن شَــادَكَ إلاَّ للخَــرابْ

أنــتَ جُــزءٌ منــهُ لكــنْ لــستَ تَــدري كيــف غــابْ

وهـــو لا يَعلـــمُ مـــا تحـــوي، أيَـــدري؟..

لَـــــــــــــستُ أدري!

*

يــا مِثــالاً كــانَ وهمــاً قَبلَمــا شَــاءَ البُنــاةُ

أنـــتَ فِكـــرٌ مِـــن دِمـــاغٍ غَيَّبَتـــهُ الظُلُمـــات

أنـــتَ أُمنِيَّـــةُ قَلـــبِ أكَلَتـــهُ الحَـــشَرات

أنـــت بانيـــك الَّـــذي شَـــادَكَ لاَ... لاَ...

لَـــــــــــــستُ أدري!

*

كـــمْ قًـــصُورٍ خالهـــا البـــاني ســـتَبقى وَتَـــدوم

ثابتـــاتٍ كالرَّواســـي خَالِـــداتٍ كـــالنُّجُوم

سَـــحَبَ الـــدَّهرُ عَليهـــا ذَيلَـــهُ فهـــيَ رُســـوم

مَالَنـــا نَـــبني ومَـــا نَـــبني لِهَـــدمٍ؟..

لَــــــــــــــستُ أدري!

*

لَــمْ أجِــد فِي القَــصْرِ شَــيئاً لــيسَ فِي الكــوخِ المَهــينِ

أنـــا فِي هـــذا وَهـــذا عَبـــدُ شَـــكٍّ وَيَقـــينِ

وَســـجينُ الخَالِـــدَينِ اللّيـــلِ والـــصُّبحِ المُـــبينِ

هَـــل أنـــا فِي القَـــصرِ أم فِي الكـــوخِ أرقـــى؟

لَــــــــــــــستُ أدري!

*

لَــيسَ فِي الكــوخِ وَلاّ فِي القَــصْرِ مِــنْ نَفــسي مَهــربْ

إنَّـــني أرجُـــو وَأخـــشَى، إنَّـــني أرضَـــى وَأغـــضَبْ

كـــانَ ثـــوبي مِـــنْ حَريـــرٍ مُـــذْهَبٍ أو كـــانَ قنَّـــبْ

فَلِمَـــاذا يَتَمَنَّـــى الثَـــوب عَـــاري؟..

لَســـــــــــــتُ أدري!

*

سَــائلِ الفَجــرَ: أعِنــدَ الفَجــرِ طــينٌ وَرُخَــامْ؟

وَاســأَلِ القــصرَ ألا يُخفيــهِ، كــالكوخِ، الظَّــلامْ

وَاســألِ الأَنجــمَ وَالــرِّيحَ وَسَــلْ صَــوبَ الغَمَــامْ

أتَــــرى الــــشَّيءَ كمــــا نحــــنُ نَــــراهُ؟..

لَســـــــــــــسْتُ أدري!

*

الفكر:

رُبَّ فِكـــر لاحَ في لَوْحَــــةِ نَفـــــسي وَتجلَّـــــى

خِلتُــــهُ مِنِّــــي ولكــــنْ لمْ يقـــمْ حَتَّـــى تَـــوَلَّى

مِثـــلَ طَيـــف لاحَ في بئـــرٍ قلـــيلاً واضـــمَحَلاَّ

كيـــــفَ وافـــــى ولِمــــاذا فَــــرَّ مِنِّــــي؟

لَســـــــــــــتُ أدري!

*

أتَـــراهَ ســـابحاً في الأرضِ مِـــنْ نَفْـــسٍ لأُخْـــرى

رابَـــــهُ مِـــــني أمــــــرٌ فَـــــأبى أنْ يَـــــسْتَقِرَّا

أم تـــراهُ مَـــرَّ فِي نَفـــسي كمـــا أعـــبرُ جـــسرا

هَــــلْ رأتـــهُ قَبْـــلَ نَفـــسي غَـــيرُ نَفـــسي؟

لَـــــــــــــستُ أدري!

*

أم تُـــــراهُ بارِقـــــاً أوْمَـــــضَ حينـــــاً وتـــــوارى

أم تُـــراهُ كـــانَ مِثـــلَ الطَّـــيرِ فِي سِـــجنٍ فَطـــارا

أم تُـــراهُ انحـــلَّ كالمَوجَـــةِ فِي نَفـــسي وَغـــارا

فأَنـــــا أبحَـــــثُ عنــــــهُ وهـــــوَ فيهـــــا،

لَـــــــــــــسْتُ أدري!

*

صراع وعراك:

إنَّـــني أشـــهَدُ فِي نَفـــسي صـــراعاً وعِراكـــا

وَأرى ذاتـــيَ شَـــيطاناً وَأحيانـــاً مَلاَكـــا

هَـلْ أنـا شَخـصَانِ يَـأبى هـذا مَـعْ ذاكَ اشـتراكا

أم تُرانـــــــــي واهِمـــــــــاً فيمَـــــــا أراهُ!

لَـــــــــــــسْتُ أدري!

*

بَينمـا قَلـبيَ يَحكـي فيـ الـضُّحى إحـدى الخمائِـلْ

فيــــهِ أزهـــارٌ وأطيــــارٌ تُغَــــني وَجــــداولْ

أقْبَـلَ العَـصْرُ فَأَمـسَى موحِـشاً كـالقفرِ قَاحِـلْ

كيــــفَ صَـــارَ القَلـــبُ رَوضـــاً ثــــمَّ قَفـــراً؟

لَـــــــــــــسْتُ أدري!

*

أيـــنَ ضـــحكي وَبُكـــائي وَأنـــا طِفـــلٌ صَـــغيرْ

أيـــنَ جَهلـــي وَمَراحـــي وأنـــا غَـــضٌّ غريـــرْ

أيـــنَ أحلامِـــي وكانَـــتْ كيفمـــا سِـــرتُ تَـــسيرْ

كُلُّهـــا ضَـــاعَتْ ولكـــن كَيْـــفَ ضَـــاعَتْ؟

لَـــــــــــــسْتُ أدري!

*

لـــيَ إيمـــانٌ ولكـــنْ لا كأيمـــاني وَنُـــسكي

إنَّــني أبكــي ولكــنْ لا كمــا قــد كُنــتُ أَبكــي

وَأنـــا أَضـــحَكُ أحيانـــاً ولكـــنْ أيَّ ضِـــحكِ

لَيـــت شَـــعري مـــا الـــذي بَـــدَّلَ أمـــرِي؟

لَـــــــــــــــسْتُ أدري!

*

كـلَّ يَـومٍ لـيَ شـأنٌ، كـلَّ حـينٍ لـي شُـعورْ

هَـلْ أنـا اليـومَ أنـا منـذُ لَيـالٍ وَشُـهورْ

أَم أنـا عِنـدَ غُـروب الـشَّمسِ غَـيرِي في البُكـورْ

كلَّمـــا سَـــاءَلتُ نَفـــسي جَـــاوَبَتني:

لَـــــــــــــــسْتُ أدري!

*

رُبَّ أمـــرٍ كُنـــتُ لَمَّـــا كـــانَ عِنـــدي أتَّقيـــهِ

بـــتُّ لَمَّـــا غـــابَ عَنِّـــي وَتـــوارى أشـــتَهيهِ

مَـــا الَّـــذي حَبَّبَـــهُ عِنـــدي وَمَـــا بَغَّـــضنِيهِ

أأنـــا الـــشَّخْصُ الَّـــذي أعـــرَضَ عَنـــهُ؟

لَـــــــــــــسْتُ أَدري!

*

رُبَّ شَـــخْصٍ عـــشتُ مَعْـــهُ زَمَنـــاً ألهـــو وَأمـــرَحْ

أَو مَكـــانٍ مَـــرَّ دَهـــرٌ وَهـــوَ لـــي مَـــسرًى وَمَـــسرحْ

لاحَ لـــي فِي البُعـــدِ أجلـــى منـــهُ فِي القُـــربِ وَأوضَـــحْ

كيـــفَ يَبقـــى رَســـمُ شَـــيءٍ قَـــدْ تـــوارى؟

لَـــــــــــــسْتُ أَدري!

*

رُبَّ بُـــستانٍ قَـــضَيتُ العُمـــرَ أحمـــي شَـــجَرَهْ

وَمَنَعـــتُ النَّـــاسَ أن تَقطِـــفَ مِنـــهُ زَهـــرَهْ

جَـــاءَتِ الأَطيـــارُ فِي الفَجـــرُ فَناشَـــتْ ثَمـــرَهْ

ألأَطيـــارِ الـــسَّما البُـــستانُ أم لـــي؟

لَـــــــــــــسْتُ أَدري!

*

رُب قُـــبحٍ عِنـــدَ زيـــدٍ هـــو حُـــسنٌ عِنـــدَ بَكـــرِ

فَهُمـــا ضَـــدَّانِ فيـــهِ وهـــوَ وَهْـــمٌ عِنـــدَ عَمـــرِو

فمـــنِ الـــصَّادقُ فيمـــا يَدَّعيـــهِ، لَيـــتَ شِـــعري

وَلِمـــــاذا لَـــــيسَ للحُـــــسْنِ قِيـــــاسٌ؟

لَـــــــــــسْتُ أَدري!

*

قَـدْ رَأَيـتُ الحُـسْنَ يُنـسَى مِثلَمـا تُنـسَى العُيـوبُ

وطُلُـوع الـشَّمسِ يُرجـى مِثلَمَـا يُرجـى الغُـروبُ

وَرَأيـــتُ الـــشَّرَّ مِثـــلَ الخَـــيرِ يَمـــضي وَيَـــؤوبُ

فَلِمـــــاذا أحـــــسبُ الـــــشَرَّ دَخـــــيلاً؟

لَـــــــــــسْتُ أَدري!

*

إنَّ هـــذا الغَيـــثَ يَهمـــي حـــينَ يَهمـــي مُكرَهَـــا

وَزُهـــورُ الأَرضِ تُفـــشي مُجبَـــراتٍ عِطرَهـــا

لا تَطيـــقُ الأَرضُ تخفـــي شَـــوكَها أو زَهرَهـــا

لا تَـــــسَلْ: أيُّهُمـــــا أشـــــهى وَأبهَـــــى؟

لَســــــــــــــــْتُ أَدري!

*

قَــــدْ يَــصيرُ الــشوكُ إكلــيلاً لِملْــكٍ أو نَــبيّ

وَيَــــصيرُ الــــوَرْدُ في عُــــروَة لِــــصٍ أَو بَغــــيّ

أيَغــارُ الــشَّوكُ في الحَقْــلِ مِــنَ الزَّهــرِ الجَــنيّ

أم تُــــرى يَحــــسَبُهُ أحقــــرَ مِنــــهُ؟

لَســــــــــــــــتُ أدري!

*

قــد يَقــيني الخَطَــرَ الــشَّوكُ الــذي يَجْــرَحُ كَفِّــي

ويَكــونُ الــسُّمُّ في العِطــرِ الَّــذي يمــلأُ أنفــي

إِنَّمــا الــوردُ هــوَ الأَفــضلُ في شَــرعي وَعُــرفي

وَهـــوَ شَـــرعٌ كلُّـــهُ ظُلـــمٌ وَلكـــنْ...

لَســــــــــــــــْتُ أَدري!

*

قَـــدْ رَأيـــتُ الــشُّهبَ لا تَــدري لِمــاذا تُــشرقُ

وَرَأيتُ السُّحبَ لا تدري لِماذا تُغدِقُ

وَرَأيتُ الغَابَ لا تَدري لِماذا تورقُ

فلِماذا كلُّها في الجَهلِ مِثلي؟

لَسْتُ أدري!

*

كُلَّما أَيقَنتُ أني قَد أمَطتُ السِّترَ عَني

وَبَلَغتُ السِّرَّ سِرِّي ضَحِكَت نَفسيَ مِني

قَدْ وَجَدتُ اليأسَ والحيرَةَ لكنْ لم أَجِدني

فَهَل الجَهلُ نَعيمٌ أَم جَحيمٌ؟

لَسْتُ أَدري!

*

لَذَّةٌ عِندي أَنْ أَسمَعَ تَغريدَ البَلابلْ

وحَفيفَ الوَرَقِ الأَخضَرِ أو هَمسَ الجَداولْ

وأرى الأَنجمَ في الظَّلماءِ تَبدو كالمَشاعِلْ

أتَرى مِنها أم اللَّذةُ مِنِّي...

لَـــــــــــــسْتُ أَدري!

*

أتُرانـــــي كُنـــــتُ يَومـــــاً نَغَمـــــاً فِي وَتَـــــرِ

أم تُرانـــــي كُنـــــتُ قَـــــبلاً مَوجَـــــةً فِي نَهـــــرِ

أم تُرانـــــي كُنـــــتُ فِي إحـــــدى النُّجُـــــومِ الزُّهـــــرِ

أَم أَريجـــــاً، أَم حَفيفـــــاً، أم نَـــــسيماً؟

لَـــــــــــــسْتُ أَدري!

*

فِيَّ مِثـــــلُ البَحـــــرِ أصـــــدافٌ وَرَمـــــلٌ وَلآلْ

فِيَّ كـــــالأرضِ مُـــــروجٌ وَسُـــــفُوحٌ وَجِبـــــالْ

فِيَّ كـــــالجَوِّ نُجـــــومٌ وَغُيُـــــومٌ وَظِـــــلالْ

هَـــــلْ أَنـــــا بحـــــرٌ وَأرضٌ وَسَـــــماءٌ؟

لَـــــــــــــسْتُ أَدري!

*

مِــن شـــرابي الـــشَّهدُ وَالخَمـــرَة وَالمَــاءُ الـــزُّلالْ

مِـــنْ طَعـــامي البَقـــلُ وَالأثمـــارُ واللّحـــمُ الحَـــلالْ

كـــمْ كيـــانٍ قَـــدْ تَلاشَـــى فِي كِيـــاني واســـتَحالْ

كـــمْ كِيـــانٍ فيـــهِ شَـــيءٌ مـــن كِيـــاني؟

لَـــــــــــــسْتُ أَدري!

*

أأنـــا أفـــصَحُ مِـــنْ عُـــصفورةِ الـــوادي وأَعـــذَبْ؟

وَمِـــن الزَّهـــرَةِ أشـــهى؟ وَشَـــذى الزَّهـــرةِ أَطيـــبْ؟

وَمِـــنَ الحَيَّـــةِ أَدهـــى؟ وَمِـــنَ النَّملَـــةِ أَغـــرَبْ؟

أَمْ أَنـــا أوضَـــعُ مِـــنْ هـــذي وَأَدنـــى؟

لَـــــــــــــسْتُ أَدري!

*

كلُّهـــا مثلـــيَ تحيـــا، كلُّهـــا مِثلـــي تَمـــوتُ

وَلهـــا مِثْلـــي شـــرابٌ، وَلَهـــا مِثلـــيَ قـــوتُ

وانتبـــاهٌ وَرُقـــادٌ، وَحَـــديثٌ وَسُـــكوتُ

فَـــــبِمَ أَمتـــــازُ عَنهـــــا لَيـــــتَ شِـــــعري؟

لَـــــــــــــسْتُ أدري!

*

قَــدْ رَأيــتُ النَّمــلَ يَـسعى مِثلَمــا أســعى لِرِزقــي

وَلَـــهُ فِي العَـــيشِ أوطـــارٌ وَحَـــقٌ مِثـــلُ حَقِّـــي

قـــد تَـــساوى صَـــمتُهُ فِي نَظَـــرِ الـــدَّهرِ وَنُطقـــي

فَكلاَنـــــا صَـــــائِرٌ يومـــــاً إلى مـــــا...

لَـــــــــــــسْتُ أدري!

*

أنـــا كالـــصَّهباءِ، لكـــنْ أنـــا صـــهبائي وَدَنّـــي

أصـــلُها خَـــافٍ كأصـــلي، سِـــجنُها طـــينٌ كَـــسِجني

وَيُـــزاحُ الخَـــتمُ عَنهـــا مِثلَمَـــا يَنـــشَّقُّ عَنّـــي

وَهــــيَ لا تَفقَـــــهُ مَعناهـــــا، وإنـــــي...

لَـــــــــــــسْتُ أدري!

*

غَلِـــطَ القائِـــلُ إنَّ الخَمـــرَ بنـــتُ الخَابيـــهْ

فهـــي قَبـــلَ الـــزقِ كانـــت في عُـــرُوقِ الدَّالِيـــهْ

وَحَواهَـــا قَبْـــلَ رَحْـــمِ الكَـــرمِ رَحْـــمُ الغَادِيَـــهْ

إنَّمـــا مِـــن قِبـــلِ هـــذا أيـــنَ كانـــتْ؟

لَـــــــــــــسْتُ أدري!

*

هـــيَ في رَأسِـــيَ فِكـــرٌ، وهـــيَ في عَـــينيَّ نـــورُ

وهـــيَ في صَـــدريَ آمـــالٌ، وفي قَلـــبي شُـــعُورُ

وهـــيَ في جِـــسمي دَمٌ يَـــسرِي فيـــهِ وَيَمـــورُ

إنَّمـــا مِـــنْ قَبـــلِ هـــذا كيـــفَ كانـــتْ؟

لَـــــــــــــستُ أدري!

*

أنـــا لا أذكُـــرُ شَـــيئاً مِـــنْ حَيَـــاتي المَاضِـــيهْ

أنـــا لا أعـــرفُ شَـــيئاً مِـــنْ حَيَـــاتي الآتِيـــهْ

لِـــيَ ذاتٌ غَـــيرَ أنـــي لَـــسْتُ أدري مَاهِيـــهْ

فَمَتَـــى تَعـــرفُ ذاتـــي كُنـــهَ ذاتـــي؟

لَـــــــــــسْتُ أدري!

*

إنَّـــني جِئـــتُ وأمـــضي وَأنـــا لا أعلَـــمُ

أنـــا لُغـــزٌ.. وَذَهـــابي كمجيئـــي طلـــسَمُ

وَالَّـــذي أوجَـــدَ هـــذا اللُّغـــزَ لُغـــزٌ مُـــبهَمُ

لا تُجـــادِلْ ذا الحِجـــا مَـــن قـــالَ إنِّـــي...

لَـــــــــــسْتُ أدري!

مزح في جد

معربة

رَأيتُ غُلاماً مَليحَ الرُّواءْ   تَلوحُ النَّبَاهةُ في مُقلَتِهْ

فقُلتُ، تجنَّى عَلينا الشِتاءْ   وَقد نَفِدَ الفَحمُ مَع كثرَتِهْ

فَهلْ مِن دواءٍ لهذا البَلاَءْ   لَديكَ؟ أجابَ، اقفلوا المدرسَهْ!

فَقُلتُ، صَغيرٌ يُحِبُّ الفضَاءْ   وَيَكرَهُ ما لَيسَ مِن فطْرَتِهْ!

*

وَأبصَرتُ لِصّاً عَلى الزَّاويَهْ   كَثيرَ التَّلَفُّتِ نحو القصُورْ

فقُلتُ، منَازلُنا خالِيَهْ   مِن الفَحم، والفَحمُ نارٌ ونورْ

فَقالَ، لَياليكُمُ الدَّاجِيَهْ   تَزولُ ولكنْ بهدمِ السُّجونْ!

فقُلتُ، شَقيٌّ مِنَ الأَشقياءْ   يُجاهِدُ مِن أَجل حُرِّيَّتِهْ!

*

وعُـــدتُ إلى رَجُـــلٍ موسَـــرٍ — لَـــهُ شُـــهرَةُ وَلَـــهُ مَنزلَـــهْ

فَقُلـــتُ، سَـــريٌّ كـــلامُ الـــسَّريّ — إذا وَقَـــعَ النَّـــاسُ فيْ مُـــشكِلَهْ

فمـــا هـــو رَأيُـــكَ؟ قَـــالَ اقـــصِرْ — مَـــعَ البَـــرْدِ لا تَنفَـــعُ الوَلوَلَـــهْ!

فَأدرَكـــتُ أَنَّ فتـــى الأغنيـــاءْ — ضَـــنينٌ يَخـــافُ عَلـــى ثَروَتِـــهْ!

*

وَأبْـصَرتُ شَخـصاً كـثيرَ الحَـذَرْ — فَرُحـــتُ أبُـــثُّ لَـــهُ لَـــوعَتي

فَحَمْلَـــقَ حَتَّـــى رَأيـــتُ الـــشَّرَرْ — يَطـــيرُ سِـــرَاعاً إلى مُهجَـــتي

وَصَـاحَ، هـيَ الحَـربُ أَصـلُ الخَطَـرْ — فَـــرُدُّوا الحُـــسَامَ إلى غِمـــدِهِ!

فَقُلـــتُ، عَـــدُوٌّ قَليـــلُ الحَيَـــاءْ — يُحـــاذِرُ شَـــرّاً عَلـــى دَولَتِـــهْ!

*

(هيـوزُ) وَقـد كـانَ قَـبلاً "مُرشَّـحْ" — شَـــكَوتُ إليـــهِ انقـــلاَبَ الأُمـــورْ

ولَمَّـــا طَلَبـــتُ الجَـــوابَ تَنَحـــنَحْ — وقـــالَ: الحِلاقَـــةُ أصـــلُ الـــشرورْ

فقلـــت المرشـــح لا شـــك يَمـــزَحْ — ومـــا زلـــتُ فيْ حـــيرة واضـــطراب

كَطَيَّـــارَةٍ فيْ مَهَـــبِّ الهَـــواءْ — إلى أَنْ نَظَـــرْتُ إلى لِحيتِـــهْ!

الشباب أبو المعجزات

سـلامٌ علـيكُمْ رجـالَ الوفـاءِ وأَلـفُ سـلامٍ علـى الوافيـاتْ

ويـا فَـرَح القلـبِ بالناشـئينَ ففـي هـؤلاءِ جمـالُ الحيـاةْ

هُـمُ الزّهْـرُ في الأرضِ إذ لا زهـورٌ وشـهبٌ إِذ الـشهبُ مـستخفياتْ

إذا أنـا أَكـبرتُ شـأنَ الـشبابِ فـإنَّ الـشبابَ أَبـو المعجـزاتْ

حـصونُ الـبلادِ وأَسـوارُهَا إذا نـامَ حرَّاسُـها والحمـاةْ

غَـدٌ لهـم وَغَـدٌ فـيهمُ فيـا أَمـسُ فـاخرْ بمـا هـو آتْ

ويـا حبَّـذا الأُمهـاتُ اللـواتي يلـدنَ النوابـغَ والنابغـاتْ

فَكَـمْ خلـدت أُمـةٌ بـيراعِ وَكـمْ نـشأتْ أُمـةٌ في دواةْ

*

أَنـا شـاعرٌ أبـداً تـائقٌ إلى الحسنِ في النـاسِ والكائنـاتْ

أَحـبُّ الزهـورَ، وأَهـوى الطيـورَ، وأَعـشقُ ثرثـرةَ الـساقياتْ

وَرَقْـصَ الأشـعةِ فـوقَ الروابـي، وضـحكَ الجـداولِ والقهقهـاتْ

تطـــالعُ عينــــايَ في ذا المكـــانِ رِوائـــــعَ فاتنـــــةً ســــاحراتْ

كــأَنَّ الفــضاءَ وفيــه الطيــورُ بحـــورٌ بهـــا ســـفنٌ ســـابحاتْ

كـــأنَّ الزهـــورَ ترقـــرقُ فيهـــا سـقيطَ النـدى أعـينٌ باكيـاتْ

ومـــن بلبـــلٍ ســـاجعٍ لِغُـــنٍّ، ومـــن زهـــرةٍ غـــضةٍ لفتـــاةْ

*

فمــا أجمــلَ الـصيفَ في الخلـواتِ وأَروعَ آياتِـــــهِ البينـــــاتْ

نـضا الـسترَ عـن حـسناتِ الوجـودِ وكانــتْ كأســرارِهِ المُـضمراتْ

وأحيــــا رغائِبَنـــــا الـــــذابلاتِ فعاشـتْ وكانـتْ كـأرضٍ مَـوَاتْ

ففي الأرضِ سحرٌ، وفي الجوِّ عطرٌ، فيـــا للكـــريمِ، ويـــا للـــهِبَاتْ

أَمـــامكمُ العـــيشُ حـــرٌّ رغيـــدٌ ألا فـاغنموا العـيشَ قَبْـلَ الفـواتْ

الكأس الباقية

دمعة على جبران خليل جبران

أيُّها الشاعرُ الذي كان يَشدو ... بينَ ضاحٍ من الجمالِ وضاحِكْ

جَلَلٌ أَنْ يصيدك القدرُ الأَعمـ - ـى ويَمشي مقصُّهُ في جناحِكْ

موكبُ الشعرِ تائهٌ في فضاءٍ ... ليسَ فيهِ سوى حَطيمِ سلاحِكْ

والبساتينُ، والبلابلُ فيها ... تتغنَّى، حزينةٌ لرواحِكْ

قَنعتْ بالنواحِ منك فلَّما ... زالَ عاشتْ بذكرياتِ نواحِكْ

والدجى، والنجومُ تسطعُ فيه، ... واجمٌ حسرةً على مصباحِكْ

تلمسُ العينُ أَينما لمستهُ ... جمَرَاتِ التياحِنا والتياحِكْ

قد تولَّت جلالةُ السحرِ عنهُ ... واضمحلَّتْ مذْ صارَ غيرَ وشاحِكْ

*

هبطتْ ربَّةُ الحياةِ لكي تسـ ـ ـكبَ خمرَ الجمالِ في أَقداحِكْ

فإذا أنتَ في السريرِ مسجَّى صامتٌ كالطيوفِ في ألواحِكْ

فتولَّتْ مذعورة تَلْطُمُ الوجـ ـ ـهَ وتبكيكَ، يا قتيلَ سماحِكْ!

سَبَقَتْها إلآهةُ الموتِ كي تَحْـ ـ ـظى ولو باليسيرِ من أَفراحِكْ

ويحها! ويحَ حبِّها من أَثيمٍ طَرَدَتْنَا ولم تُقمْ في ساحِكْ

أَيبستْ روضَكَ الجميلَ، ولم تظـ ـفَرْ بغير التُّرابِ من أَدواحِكْ

ذَهَبَ الموتُ بالكؤوسِ جميعاً غيرَ كأسٍ ملأتهَا من جراحِكْ

الضفادع والنجوم

صاحتِ الضفدعُ لما شاهدتْ حولها في الماءِ أظلالَ النجومْ

يا رفاقي! يا جنودي! احتشدوا عَبرَ الأعداءُ في الليلِ التخومْ

فاطردوهمْ، واطردوا الليل معاً إنه مثلهمُ باغٍ أثيمْ

زعقةٌ سارَ صداها في الدجى فإذا الشطُّ شخوصٌ وحسومْ

في أديمِ الماءِ مِنْ أصواتها رعدةُ الحمى، وفي الليلِ وجومْ

*

مــزّقَ الفجــرُ جلابيــبَ الــدُّجى ومحـا مـن صـفحةِ الأرضِ الرسـومْ

فَمَــشَتْ في ســريها مختالـــةً كمليــكٍ ظــافرٍ بــينَ قــرومْ

ثــم قالــت: لَكُــمُ البُــشرى ولــي قـد نجونـا الآن مـن كيـدٍ عظـيمْ

نحــنُ لَــوْ لَــمْ نقهــرِ الــشُّهبَ الــتي هاجَمتْنــا لأذاقتنــا الحتــومْ

وأقامـــتْ بعـــدنا مـــن أرضـــنا في نعــيمٍ لم تجــدهْ في الغيــومْ!

أيهـــا التـــاريخُ ســـجِّلْ أننـــا أمــةٌ قــد غَلَبَــتْ حتــى النجــوم!

ابتسم

قـــالَ: "الـــسماءُ كئيبـــةٌ!" وتجهَّمــا قلتُ: ابتسمْ يكفي التجهُّمُ في السما!

قـالَ: الـصِّبا ولّـى! فقلـتُ لـه: ابتـسمْ لن يُرجعَ الأسفُ الصِّبا المتصرِّما!

قـالَ: الـتي كانـتْ سمـائي في الهـوى صـارتْ لنفـسي في الغـرام جهنَّمـا

خانـــتْ عهـــودي بعـــدما ملَّكتُهـــا قلـبي، فكيـفَ أُطيـقُ أَن أَتبـسَّما؟

قلـتُ: ابتـسمْ واطـرَبْ فلـو قارنتهـا قـضَّيتَ عمـركَ كلَّـه متألِّمــا!

قـــالَ: التجـــارةُ في صـــراعٍ هائـــلٍ مثـلُ المسافرِ كـادَ يقتلـهُ الظمـا

أَو غـــــادةٍ مـــــسلولةٍ محتاجـــــةٍ لـدمٍ، وتَنفُـث، كلمـا لهثـت، دمـا!

قلـتُ: ابتـسمْ مـا أنـتَ جالـبَ دائهـا وشِـفائها، فـإذا ابتـسمتْ فربَّمـا...

أيكـونُ غـيرُكَ مجرمـاً، وتبيـتُ في وجـلٍ كأنـكَ أنـتَ صـرتَ المجرمـا؟

*

قالَ: العدى حولي علَتْ صيحاتُهُمْ أَأُسَرُّ والأعداءُ حولي في الحمى؟
قلتُ: ابتسمْ، لم يطلبوكَ بذمّهمْ لو لم تَكُنْ منهمْ أجلَّ وأعظما!

*

قالَ: المواسمُ قد بَدَتْ أعلامُها وتعرَّضتْ لي في الملابسِ والدُمى
وعليَّ للأحبابِ فرضٌ لازمٌ لكنَّ كفِّي ليسَ تملكُ درهما
قلتُ: ابتسمْ، يكفيكَ أنَّكَ لم تزلْ حيّاً، ولستَ من الأحبَّةِ مُعدما!

*

قالَ: الليالي جرَّعتني علقماً قلتُ: ابتسمْ ولئنْ جرعتَ العلقما
فلعلَّ غيرَكَ إنْ رآكَ مرنِّماً طَرَحَ الكآبةَ جانباً وترنَّما
أتُراكَ تغنمُ بالتبرُّمِ درهماً أم أنتَ تخسرُ بالبشاشةِ مغنما؟
يا صاحِ، لا خَطَرٌ على شفتيكَ أن تتثلّما، والوجهِ أن يتحطَّما
فاضحكْ فإنَّ الشهبَ تضحكُ والدجى متلاطمٌ، ولذا نحبُّ الأنجما!
قالَ: البشاشةُ ليس تُسعدُ كائناً يأتي إلى الدنيا ويذهبُ مرغما
قلتُ: ابتسمْ ما دامَ بينكَ والردى شبرٌ، فإنَّكَ بعدَ لنْ تتبسَّما!

كم تشتكي

قالها في مهرجان بردجفيل

كـم تـشتكي وتقـولُ إنَّـك مُعـدمُ — والأرضُ ملكـك والـسما والأنجمُ؟

وَلَـكَ الحقـولُ وزهرُهـا وأريجُهـا — ونـسيمُها والبلبـلُ المترنِّـمُ

والمـاءُ حولـكَ فـضَّةٌ رقراقـةٌ — والـشمسُ فوقَـكَ عـسجدٌ يتـضرَّمُ

والنـورُ يبني في الـسُّفوحِ وفي الـذُّرى — دُوراً مزخرفـةً وحينـاً يَهْـدِمُ

فكأنَّـهُ الفنَّـانُ يعـرض عابثـاً — آياتـهِ قـدَّامَ مَـنْ يـتعلَّمُ

وكأنَّـهُ لـصفائهِ وسـنائِهِ — بحـرٌ تعـومُ بـهِ الطيـورُ الحـوَّمُ

هـشَّتْ لـكَ الـدنيا فمـا لَـكَ واجمـاً؟ — وتبـسَّمتْ فعَـلامَ لا تتبـسَّمُ؟

إنْ كنـتَ مكتئبـاً لعـزٍّ قـد مـضى — هيهـاتِ يُرجعـهُ إليـكَ تَنَـدُّمُ

أو كنـتَ تُشفقُ مـن حلـولِ مـصيبةٍ — هيهـاتِ يمنـعُ أنْ تَحِـلَّ تجهُّـمُ

أو كنتَ جاوزتَ الشبابَ فلا تقلْ شاخَ الزمانُ فإنّه لا يهرمُ

أُنظرْ فما زالتْ تُطلُّ من الثَّرَى صورٌ تكادُ لحسنِها تتكلَّمُ

ما بينَ أشجارٍ كأنَّ غصُونَهَا أيدٍ تُصَفِّقُ تارةً وَتُسلِّمُ

وعيونِ ماءٍ دافقاتٍ في الثرى تشفي السقيمَ كأنَّما هيَ زمزمُ

ومسارحٍ فتنَ النسيمَ جمالُها فَسَرَى يُدندنُ تارةً ويُهمهمُ

فكأنَّهُ صَبٌّ ببابِ حبيبةٍ متوسِّلٌ، مستعطفٌ، مُسترحمُ

والجدولُ الجذلانُ يضحكُ لاهياً والنرجسُ الولهانُ مُغْفٍ يَحْلمُ

وعلى الصعيدِ ملاءةٌ من سُندسٍ وعلى الهضابِ لكلِّ حُسْنٍ مِيسَمُ

فهنا مكانٌ بالأريجِ معطَّرٌ وهناكَ طودٌ بالشعاعِ معمَّمُ

صُورٌ وآياتٌ تفيضُ بشاشةً حتى كأنَّ اللّهَ فيها يبسم

فامشِ بعقلِكَ فوقَها متفهِّماً إنَّ الملاحةَ مُلْكُ من يتفهَّمُ

أتزورُ روحَكَ جنَّةٌ فتفوتَها كيما تزوركَ بالظنونِ جهنَّمُ؟

وترى الحقيقةَ هيكلاً متجسّداً فتعافُها لوساوسٍ تتوهَّمُ؟

يـا مَــنْ يحــنُّ إلى غَـدٍ في يومـهِ قـد بعـتَ مـا تـدري بمـا لا تعلـمُ

*

قــمْ بــادرِ اللَّــذات قبــلَ فواتِهــا مـا كـلُّ يـومٍ مثـلُ هـذا موسـمُ

واشــربْ بــسرٍّ حـصْنِ سـرَّ شـبابهِ وارو أحاديــثَ المــروءةِ عــنهمُ

المعرضــينَ عــن الخنــا، فــإذا عــلا صـوتٌ يقـولُ: "إلى المكارمِ" أقـدَموا

ألفــاعلينَ الخــيرَ لا لطماعــةٍ في مغــنمٍ، إنَّ الجميــلَ المغــنمُ

أنــتَ الغــنيُّ إذا ظفــرتَ بــصاحبٍ مـنهمْ وعنـدكَ للعواطـف مـنجمُ

رفعــوا لــدينهمِ لــواءً عاليــاً ولهــمْ لــواءٌ في العروبــةِ مُعْلَــمُ

إنْ حازَ بعضُ الناسِ سهماً في العلى فلــهم ضــروبٌ لا تُعــدُّ وأســهمُ

لا فضلَ لـي إنْ رحتُ أُعلنُ فضلهم بقــصائدي، إنَّ الـضحى لا يُكـتمُ

لكــنَّني أخــشى مقالــةَّ قائــلٍ هـذا الـذي يَـثني علـيهمْ مـنهمُ

أحبابَنــا مــا أجمــلَ الــدنيا بكـم لا تَقْــبُحُ الــدنيا وفيهــا أنــتمُ

حكاية قديمة

وَرُبَّــتَ أمريكيَّـــةٍ خِلــتُ وِدَّهَـــا يَـــدُومُ، ولكـــنْ مـــا لِغَانِيَـــةٍ ودُّ

صَـــبَوتُ إلى هِنـــدٍ فَلَمَّـــا رأيتُهَـــا سَلَوتُ بِها هِنـداً ومَـا صَنَعَتِ هِنـدُ

وَأوحَـــت لهـــا عَينـــايَ أَنَّ صَـــبَابَةً تُلَجلِـجُ في صَـدرِي وَأحـذَرُ أَن تَبـدو

فألقَـــتْ إلى أترَابِهَـــا وَتَبَـــسَّمَتْ أَعِيٌّ سُكوتُ الصَّبِ أم صَمتُهُ عَمدُ؟

فقلـــتُ سَـــلامُ اللّهِ، قَالَـــتْ وَبِـــرُّهُ، فَقلـتُ: أَهـزَلٌ ذلِـكَ القَـولُ أم جِـدُّ

وَأمْـــسَكْتُ أنفَاســـي وَأرْهَفْـــتُ مِـــسمَعي

فَفـــي نَفـــسي جَـــزْرٌ وفي مِـــسْمَعي مَـــدُّ

فَقَالَـتْ وَدِدْنـا لـو عَرِفْنَـا مَـن الفَتَـى وَمَـا يَبتَغِـهِ؟ قلـتُ مَـا يَبتَغـي العَبْـدُ؟

لَــهُ كَبِــدٌ حَـــرَّى، وَقَلْـــبٌ مُكلَـــمٌ غَلِطـتُ، فمـا للـصَّبِّ قَلْبٌ ولا كِبـدُ

قَتِيــلٌ وَلكــنْ ثَوبُــهُ كَفَــنٌ لَــهُ وكُــلُّ مَكَــانٍ يَــسْتريحُ بِــهِ لَحـدُ

فَإنْ لَم يكنِ مِن نظرَةٍ تَرأَبُ الحَشَا فَـــرُدِّي عَلَيـــهِ قَلبَـــهُ وَبِـــهِ زُهْـــدُ

فَــضَرَّجَ خَــدَّيها احمــرارٌ كأنَّمــا تَصَاعَدَ مِن قَلبي إلى خَدِّهَا الوَجْدُ

وَقَرَّبْهـــا مِنّــــي وَقَـــرَّبَني الهَـــوى   إلى أَنْ ظَنَنَّـــا أنَّنَـــا واحِـــدٌ فَـــردُ

وَكهــرَبَ رُوحَينـــا فَلَمَّـــا تَنَهَّـــدَتْ   تَنَهَّـدتُ حَتَّـى كـادَ صَـدرِي يَنهَـدُّ

وَكـانَ حَـديثٌ خِلـتُ أنِّـي حَفِظتُـهُ   فَـأذهَلَني عَنـهُ الَّـذي كـانَ مِـنْ بَعْـدُ

*

أمَـــرْتُ فـــؤادي أَن يُطيـــعَ فُؤادَهَـــا   فَيَبكي كما تَبكي ويَشدو كما تَشدو

وَقُلـتُ لِنَفـسي هـذه مُنتهـى المُنــى   وَهذا مجالُ الشُّكرِ إن فَاتَـكَ الحَمْـدُ

فـإنْ تَـرْغَبي عَنهَـا، وَفيـكِ بَقِيَّـةٌ،   فمـا أَنْـتِ نَفسي إنَّمـا أَنْـتِ لـي ضِـدُّ

وَمَـرَّتْ لَيَـالٍ وَالمُنَـى تجـذِبُ المُنَـى   وَقَلـبي، كمـا شَـاءَتْ، يَلـينُ وَيَـشْتَدُّ

نــروحُ وَنَغــدو وَاللّيَــالي كَأَنَّهَـــا   وُقُـــوفٌ لأَمـــرٍ لا تَـــروحُ وَلا تَغـــدو

وَمَـا زلـتُ تَـسْتَخْفي عَلـيَّ عُيُوبُهـا   إلى أَنْ تَـوَلَّى الغَـيُّ واتَّـضَحَ الرُّشْـدُ

رَأى الـدَّهرُ سَـدَّاً حَولَ قَلـبي وَقَلْبِهَـا   فَمـا زالَ حَتَّـى صَـارَ بَيْنَهمُـا الـسَّدُّ

خُـدِعْتُ بهـا وَالحُـرُّ سَـهلٌ خِداعُـهُ   فَلا طَالِعي يُمنٌ وَلا كَوكَبي سَعْدُ

وكُنَّا تَعاهَدنا عَلَى المَوتِ في الهَوى   فَمـا لَبِثـتْ إلاَّ كمـا يَلْبَـثُ الـوَردُ

كَـــأنِّي مَـــا ألــــصَقْتُ ثَغــــري بثَغرِهَـــا

ولا بـــاتَ زَنـــدي وَهـــوَ في جيـــدِهَا عِقـــدُ

وَلَـمْ نَـشْتَمِلْ بالليـلِ وَالحَـيُّ نَـائِمٌ   وَلَـمْ نَـسْتَتِرْ بـالرَّوضِ وَاللّيـلُ مُمتَـدُّ

وَلا هَزَّنا شَدْوُ الحَمَائِمِ في الضُّحَى   وَلا ضَـمَّنَا بَيْـتٌ وَلم يحوِنـا بُـردُ

*

أَإِنْ لاحَ في فُـــودي القَـــتيرُ[1] نَكَـــرتِني

أيُزهَـــدُ في الصَّمْـــصَامِ إنْ خَلِـــقَ الغِمْـــدُ

لَئِن كـانَ لَونُ الشَّعرِ مَا تَعشَقينَهُ   فَدُمْ أبْيضاً ما دُمْتَ يا شَعري الجَعْدُ

فَـلاَ تَـشْمتي مِنِّـي فَلَـسْتُ بمـأمَنٍ   وَلا تَزهَـدي فيـهِ، فَلَـيْسَ بـهِ زُهْـدُ

هُـوَ الفَـاتِحُ الغَـازي الـذي لا تَـرُدُّهُ   عَـن الفَـاتِحَ الغـازي قِـلاعٌ وَلا جُنْـدُ

فلو كانَ غَيرَ الشَّيب عَني صَرَفْتُهُ   ولكِـــنَّ حكـــمَ اللهِ لَـــيسَ لَـــهُ رَدُّ

وإنْ تُعرِضـــي عَـــن مَفرقـــي وهُـــوَ أبـــيْضٌ

فَيَـــا طَالمـــا قَبَّلْتِـــهِ وَهْـــو مُـــسْوَدُّ

شَـــفَى اللّهُ نَفـــسي لا شَـــفَى اللّهُ نَفْـــسَهَا

وَلا غَـــابَ عَـــنْ أجْفَانِهـــا الـــدَّمْعُ وَالـــسُّهْدُ

---

١ - القتير: الشيب أو أوائله.

فَـــلاَ ثَغرُهَـــا دُرٌ ولا أُقحُوانَـــةٌ وَلا دَمْعُهَـا طَـلٌّ ولا ريقُهَـا شُـهْدُ

وَلا قَـدُّهَا غُـصْنٌ ولا خَيزرَانَـةٌ وَلا خَـصْرُهَا غَـورٌ ولا رِدفُهـا نجـدُ

وَلا وَجْهُها شَمْسٌ ولا شَعْرُها دُجًى وَلا صَـدُّهَا حَـرٌّ ولا وَصْلُها بَـرْدُ

أَحَبُّ إلى نَفسي الرَّدى مِنْ لقَائِها وَأجْمَلُ فِي عَينَـيَّ مِنْ وَجْهِها القِرْدُ

فَإنْ تَلْمَسِ الثَّوبَ الَّذي أنا لابسٌ قَدَدْتُ بكَفِّي الثَوْبَ مِنْ قَبل يَنْقَدُّ

وَإنْ تَقْرُبِ الـدَّارَ الـتي أَنا سَاكِنٌ هَجَرْتُ مَغَانيها وَلو أنَّها الخُلْدُ

فــإن كــان غَـيري لَـمْ يَـزَلْ دينُـهُ الهــوى

فــإني، وَلا أخْــشَى المَلامَــةَ، مُرْتَــدُّ!!

التينة الحمقاء

وتينـــةٍ غــضةِ الأفنـــانِ باســـقةٍ قالـتْ لأترابهـا والـصيفُ يحتـضرُ

"بـــئسَ القـــضاءُ الـــذي في الأرض أوجـــدني

عنـــدي الجمـــالُ وغـــيري عنـــدَهُ النَظَـــرُ"

"لأَحْبِـسَنَّ علــى نفــسي عوارفَهَــا فــلا يــبينُ لهــا في غيرهــا أثَــرُ"

كم ذا أُكلفُّ نفسي فوقَ طاقَتِها وليسَ لي بلْ لغيري الفَيْءِ والثَمَرُ"

"لـــذي الجنـــاحِ وذي الأظفـــارِ بـــي وَطَـــرٌ

ولـــيسَ في العـــيشِ لـــي فيمـــا أرى وَطَـــرُ"

إنــي مفــصلةٌ ظِلــي علــى جَــسَدي فــلا يكــونُ بــهِ طــولٌ ولا قِــصَرُ"

ولـــستُ مثمـــرةً إلا علـــى ثِقَـــةٍ إنْ لـيسَ يطـرقُني طـيرٌ ولا بَـشَرُ"

*

عــادَ الربيــعُ إلى الــدنيا بموكِبِــهِ   فازَّينتْ واكتستْ بالسُّندُسِ الشَّجَرُ

وظلَّــتِ التينــةُ الحمقــاءُ عاريَــةً   كأنهــا وَتَــدٌ فِي الأرضِ أو حَجَــرُ

ولم يُطِـقْ صـاحبُ البـستانِ رؤْيَتَهـا،   فاجتَثَّهـا، فهـوتْ فِي النـارِ تَـستَعِرُ

من ليسَ يسخو بما تسخو الحياةُ به   فإنــه أحمــقٌ بــالحرص يتنحــرُ

دـــــــــــــــــــهِ

الطين

نسيَ الطينُ ساعةً أنه طينٌ حقيرٌ فصالَ تيهاً وعربدْ

وكسى الخزُّ جسمَهُ فتباهى، وحوى المالَ كيسُهُ فتمرَّدْ

يا أخي لا تَمِلْ بوجهكَ عني، ما أنا فحمةٌ ولا أنتَ فرقدْ

أنتَ لم تصنعِ الحريرَ الذي تلبسُ واللؤلؤَ الذي تتقلدْ

أنتَ لا تأكل النضارَ إذا جعتَ ولا تشربُ الجمانَ المنضَّدْ

أنتَ في البردةِ الموشَّاةِ مثلي في كسائي الرديمِ تشقى وتسعدْ

لكَ في عالم النهار أماني، ورؤى والظلام فوقك ممتد

ولقلبي كما لقلبكَ أحلا - مُ والظلامُ فإنَّهُ غيرُ جامدْ

*

أأمـــانيَّ كلـــها مـــن تـــرابٍ   وأمانيـــكَ كلـــها مـــن عـــسجدْ؟

وأمـــانيَّ كلـــها للتلاشـــي   وأمانيـــكَ للخلـــودِ المؤكـــدْ!؟

لا. فهـــذي وتلـــكَ تـــأتي وتمـــضي   كـــذويها. وأيّ شـــيء يؤْبـــدْ؟

أيهـــا المزدهـــي. إذا مـــسَّك الـــسقمُ ألا تـــشتكي؟ ألا تتنهـــدْ؟

وإذا راعـــكَ الحبيـــبُ بهجـــرٍ   ودَعتْـــكَ الـــذكرى ألا تتوجَّـــدْ؟

أنـتَ مثلـي يـبشُ وجهُـكَ للنُّعمـى   وفي حالـــةِ المـــصيبةِ يكمـــدْ

أدمـــوعي خـــلٌ ودمعُـــك شـــهدٌ؟   وبكـــائي ذُلٌّ ونوحـــكَ ســـؤْددْ؟

وابتـــسامي الـــسرابُ لا ريَّ فيـــه؟   وابتـــساماتُكَ اللآلـــيْ الخـــرَّدْ؟

فَلَـــكٌ واحـــدٌ يُظِـــلُّ كلينـــا   حـــارَ طـــرفي بـــهِ وطرفُـــكَ أرمـــدْ

قَمَـــرٌ واحـــدٌ يُطِـــلُّ علينـــا   وعلـــى الكـــوخِ والبنـــاءِ الموطَّـــدْ

إنْ يَكُـــنْ مـــشرقاً لعينيـــكَ إنـــي   لا أراه مـــن كـــوّةِ الكـــوخِ أســـودْ

ألنجـــوم الـــتي تراهـــا أراهـــا   حـــينَ تَخْفَـــى وعنـــدما تتوقَّـــدْ

لـــستَ أدنـــى علـــى غنـــاكَ إليهـــا   وأنـــا مَـــعْ خـــصاصتي لـــست أبعـــدْ

*

أنــتَ مثلــي مِــنَ الثــرى وإليــهِ فلمـاذا، يـا صـاحبي، التيـهُ والـصَّدْ

كنتَ طفلاً إذ كنتُ طفلاً وتغدو حــين أغــدو شــيخاً كــبيراً أدردْ

لــــستُ أدري مــــن أيــــن جئـــتُ، ولا مــــا

كنـــتُ، أو مـــا أكـــونُ، يـــا صـــاحِ، في غـــدْ

أفتـــــــدري؟ إذنْ فخبِّـــــــرْ وإلا فلمـــــاذا تظـــنُّ أنـــكَ أوحـــدْ؟

*

ألـكَ القـصرُ دونَـهُ الحـرسُ الـشا كـي ومـنْ حولِـهِ الجـدارُ المـشيَّدْ

فـــامنعْ الليـــلَ أن يمـــدَّ رواقـــاً فوقـــهُ، والـــضبابَ أن يتلبَّـــدْ

وانظـرْ النـورَ كيـفَ يـدخلُ لا يطلـبُ إذنـاً، فمـا لـهُ لـيسَ يُطـردْ؟

مرقـــدٌ واحـــدٌ نـــصيبُكَ منـــهُ أفتـدري كـم فيـكَ للـذرِّ مرقـدْ؟

ذُدتـــني عنـــهُ، والعواصـــفُ تعـــدو في طِلابـــي، والجـــوُّ أقـــتمُ أربـــدْ

بينمـا الكلـبُ واجـدٌ فيـه مـأوىً وطعامـاً، والهـرُّ كالكلـب يُرفـدْ

فـــسمعتُ الحيـــاةَ تـــضحكُ مـــني أترجـــى، ومنـــكَ تـــأبى وتجحـــدْ

*

ألــكَ الروضــةُ الجميلــةُ فيهــا   المــاءُ والطــيرُ والأَزاهــرُ والنَّــدْ؟

فــازجرِ الــريحَ أن تهــزَّ وتلــوي   شَــجَرَ الــروضِ ــ إنــه يتــأَوَّدْ

والجُــمِ المــاءَ في الغــديرِ وَمُــرْهُ   لا يــصفقْ إلا وأنــتَ بمــشهدْ

إنَّ طــيرَ الأراكِ لــيسَ يُبــالي   أنــت أصــغيتَ أم أنــا إن غــرَّدْ

والأزاهــيرُ لــيسَ تَــسخرُ مــن فقــري، ولا فيــكَ للغِنَــى تتــودَّدْ

*

ألــكَ النهــرُ؟ إنــه للنــسيمِ الرَّطــبِ دربٌ وللعــصافيرِ مــوردْ

وَهْــوَ للــشُّهبِ تــستحمُّ بــهِ في الــصَّيْفِ لــيلاً كأنهــا تتــبرَّدْ

تدعيــه فَهَــلْ بــأمرِكَ يَجــري   في عــروقِ الأشــجار أو يتجعــدْ؟

كـانَ مـن قبْـلِ أن تجيء، وتمـضي   وهــو بــاقٍ في الأرضِ للجــزرِ والمــدْ

*

ألـكَ الحقـلُ؟ هـذه النحـلُ تجـني   الــشهدَ مــن زهــرِه ولا تــتردَّدْ

وأرى للنمــالِ مُلكــاً كــبيراً   قــد بَنتــه بالكَــدْحِ فيــه وبالكــدْ

أنــتَ في شــرعِها دخيــلٌ علــى الحقــلِ ولِــصٌّ جَنَــى عليهــا فأفــسدْ

لـو ملكتَ الحقـولَ في الأرضِ طُـراً لم تَكُـنْ مـنْ فَرَاشـةِ الحقـل أَسـعدْ

أَجميـلٌ؟ مـا أَنـتَ أَبهـى مـن الـور دةِ ذاتِ الــشَّذى ولا أَنــت أَجــودْ

أم عزيــزٌ؟ وللبعوضـــةِ مــــن خـــديكَ قــوتٌ، وفي يــديكَ المهنــدْ

أم غــنيٌّ؟ هيهــاتِ تختــالُ لــولا دودةِ القـــزِ بالحبـــاءِ المبجـــدْ

أَم قــويٌّ؟ إذنْ مُــرِ النــومَ إذ يغــشاكَ والليــل عــنْ جفونِــكَ يَرْتَــدْ

وامنـــعِ الــشيبَ أن يلــمَّ بِفَوْديــكَ وَمُــرْ تلبــثِ النــضارةُ في الخــدْ

أعلــيمٌ؟ فمـــا الخيـــالُ الــذي يطـــرقُ لــيلاً؟ في أي دنيـــا يُولـــدْ؟

مـا الحيـاةُ الـتي تَـبينُ وتخفـى؟ مـا الزمـانُ الـذي يُـذَمُّ وَيُحمـدْ؟

أَيهـا الطـينُ لـستَ أَنقـى وأَسمـى مـــن تـــرابٍ تـــدوسُ أَو تتوسَّـــدْ

ســدتَ أو لم تَــسُدْ فمــا أنــت إلا حَيَـــــوانٌ مُـــــسيَّرٌ مُـــــستعبدْ

إنَّ قــصراً سمكتَــهُ سـوفَ ينـدكُّ، وثوبـــاً حبكتَـــهُ ســـوفَ يَنقــدْ

لا يكــنْ للخــصام قلبــكَ مــأوىً إنَّ قلــبي للحـــبِ أصــبحَ مَعْبَــدْ

أَنــا أَولى بالحــبِ منــكَ وأَحــرى مــن كــساءٍ يَبلــى ومــالٍ يَنفَــدْ

العيون السود

لَيْتَ الَّـذي خَلَـقَ العُيُـونَ الـسَّودَا ... خَلَـقَ القُلُـوبَ الخَافِقَـاتِ حَديـدا

لــولا نَواعِــسُها ولــولا سِــحرُهَا ... مَــا وَدَّ مَالِــكُ قَلبِــهِ لــو صــيدا

عَـوِّذْ فُـؤَادَكَ مِـن نِبَـالِ لِحاظِهـا ... أو مُـتْ كمـا شَـاءَ الغَـرامُ شَـهيدا

إنْ أَنـتَ أَبـصَرتَ الجَمـالَ وَلم تَهِـمْ ... كنْتَ امـرءاً خَشِنَ الطِّبـاعِ، بَليـدا

وَإذا طَلَبــتَ مَــعَ الــصَّبابَةِ لَــذّةً ... فَلَقَـد طَلَبـتَ الـضَّائِعَ الموجـودا

يــا ويــحَ قَلــبي إِنَّــهُ فِي جَــانِبي ... وَأظُنُّــهُ نــائي المَــزارِ بَعيــدا

مُــستوفِزٌ شَــوقاً إلى أحبابِــهِ ... المَـرءُ يَكـرَهُ أن يَعـيشَ وَحيـدا[1]

بَــرأ الإلــهُ لَــهُ الــضُّلوعَ وقايــةً ... وَأرَتــهُ شِــقوَتُهُ الــضُّلُوعَ قُيُــودا

فَــإذا هَفــا بَــرقُ المُنــى وَهَفَــا لــهُ ... هَاجَــتْ دَفَائِنُــهُ عَليــهِ رُعــودا

جَــشَّمتُهُ صَــبراً فلمَّــا لم يطــقْ ... جَــشَّمتُهُ التَّـصويبَ والتَّـصعيدا

لَـو أسـتَطيعُ وَقَيتُـهُ بَطـشَ الهـوى ... وَلَـوْ اسْتَطاعَ سَلاَ الهَوى مَحمُودا

---

١ - مستوفز: يتوثب غير مطمئن.

هي نَظرَةٌ عَرَضت فَصَارَتْ في الحَشَا نـــاراً وصـــارَ لَهـــا الفُـــؤَادُ وَقـــودا

والحُـــبُّ صَـــوتٌ، فهـــو أنَّـــةُ نـــائحٍ طَـــوراً وآونَـــةً يَكـــونْ نَـــشيدا

يَهَـــبُ البـــواغِمَ ألـــسُناً صَـــدَّاحَةً فـــإذا تجنَّـــى أســـكَتَ الغِرِّيـــدا

مَا لي أُكلِّفُ مُهجَتي كتمَ الأَسى إنْ طَالَ عَهدُ الجُرحِ صَارَ صَديدا

وَيَلَـــذُّ نَفـــسي أن تَكـــون شَـــقِيَّةً وَيَلَـــذُّ قَلـــبي أن يَكـــونَ عَميـــدا

إنْ كُنتَ تَدري مَا الغَرامُ فَداوني أو لا فَخَـــلِّ العَـــذلَ والتَّفنيـــدا

*

يـا هنـدُ قَـدْ أفنـى المَطَـالُ تَـصبُّري وَفَنِيـتُ حَتَّـى مَـا أخَـافُ مَزِيـدا

مـا هـذه البـيضُ الـتي أبـصَرتُها في لِمَّـــتي إلاَّ اللَّيـــالي الـــسُّودا

مـا شِبتُ مِـنْ كِبَـرٍ وَلكـنَّ الَّـذي حَمَّلـتِ نَفـسي حَمَّلتـهُ الفُـودا

هـــذا الـــذي أبْلـــى الـــشَّبابَ وَردَّهُ خَلقـاً وَجَعَّـدَ جَـبهتي تَجعيـدا

علمـــتِ عَـــيني أن تـــسُحَّ دُموعُهـــا بالبُخـلِ عَلمـتِ البَخيـلَ الجُـودا

وَمَنعـــتِ قَلْـــبي أنْ يَقـــرَّ قـــرارُهُ وَلَقَد يَكونُ عَلى الخُطُوبِ جَليدا

دَلَّهـتِني وَحَمَيـتِ جَفـني غَمْـضَهُ لا يُـستَطاعُ مَـع الهُمُـومِ هُجُـودا

لا تَعجَـــبي أنَّ الكواكـــبَ سُـــهَّدٌ فأنـــا الَّـــذي عَلمتُهَـــا التَّـــسهيدا

أسَـمعتُها وَصـفَ الـصَّبابةِ فانثَنـتْ وَكـأنَّمـا وَطـئَ الحُفـاةُ صُـرودا[1]

مُتعثَّـــراتٍ بـــالظَّلام كأنَّمـــا حَــالَ الظَّــلام أســاوداً وأُســودا

وأنَّهــا عَرفــتْ مكانَــكِ في الثّــرى صَــارَت زواهِرُهَــا عليــكِ عُقُــودا

أنــتِ الــتي تُنـسي الحَـوائِجَ أهلَهَـا وَأخــا البَيَــانِ بَيَانَــهُ المَعهــودا

مَـا شِـمتُ حُـسنَكِ قَـطُّ إلاَّ راعَـني فَــوَدِدْتُ لــو رُزِقَ الجَمــالُ خُلُــودا

وإذا ذَكرتُـكِ هَـزَّ ذِكـرُكِ أضْلُعي شَــوقاً كمــا هَــزَّ النَّـسيمُ بُنُــودا

فَحَسبتُ سِقْطَ الطَّلِّ ذوبَ محاجِري لـو كـانَ دَمْـعُ العَاشِـقينَ نَـضيدا

وَظَنَنـتُ خَافِقَـةَ الغُـصُونِ أضَـالِعاً وَثَمـــارَهُنَّ القَانيَـــاتِ كُبُـــودا

وأرى خَيَالَــكِ كــلَّ طَرفَــةِ نــاظِرٍ ومِــنَ العَجَائِــبِ أن أراهُ جَديــدا

وإذا سَــمِعتُ حِكايَــةً عَــنْ عاشــقٍ عَرَضـاً حَـسِبتُني الفَتَـى المَقـصُودا

مُــستَيقِظٌ وَيَظُــنُّ أنــي نــائمٌ يَـا هِنـدُ، قـد صَـار الـذُّهولُ جُمـودا

وَلَقَـد يَكـونُ لـيَ الـسُّلُوُ عَـنِ الهَـوى لكنَّمـــا خُلِـــقَ المُحِـــبُّ وَدودا

---

١ - الصرود: جمع صرد (محركة بالفتح) وهي مسمار في السنان يشك فيه الرمح.

ليس السر في السنوات

قُلْ للذي أَحصى السنينَ مفاخراً ... يا صاحِ ليسَ السرُّ في السنواتِ
لكنهُ في المرءِ كيفَ يعيشُها ... في يقظةٍ، أم في عميقِ سُباتِ
قُمْ عُدّ آلافَ السنينِ على الحَصَى ... أَتعدُّ شبهَ فضيلةٍ لحصاةِ؟
خيرٌ من الفَلَواتِ، لا حدَّ لها، ... روضٌ أَغنُّ يقاسُ بالخطواتِ
كُنْ زهرةً، أَو نغمةً في زهرةٍ، ... فالمجدُ للأَزهارِ والنغماتِ
تمشي الشهورُ على الورودِ ضحوكةً ... وتنامُ في الأشواكِ مكتئباتِ
وتموتُ ذي للعُقْمِ قبلَ مماتِهَا ... وتعيشُ تلك الدهرَ في ساعاتِ
تُحصى على أَهْلِ الحَياةِ دقائقٌ ... والدهرُ لا يُحصى على الأمواتِ
أَلعمرُ، إلاَّ بالمآثر، فارغٌ ... كالبيتِ مهجوراً وكالموماتِ
جَعَلَ السنينَ مجيدةً وجميلةً ... ما في مَطَاويها مِنَ الحسناتِ

الرأي الصواب

يــا نَفْــسُ هــذا منــزلُ الأحبــابِ   فانـسَيْ عـذابَكِ في النَّوَى وَعَـذَابي

وتهلَّلــي كــالفجرِ في هــذا الحِمَــى   وتــألَّقي كــالخمرِ في الأكــوابِ

ولتمـسحِ البُـشرى دموعَـكِ مثلمـا   يمحـو الـصباحُ نَدًى عـنِ الأَعـشابِ

واسترجعي عهدَ البَشاشَةِ والرِّضى   فالــدهرُ عــادَ تــضاحُكاً وَتَــصَابي

أَنــا بــينَ أَصــحابي الــذينَ أُحــبُّهمْ   مــا أَجمــلَ الــدنيا مَــعَ الأَصــحابِ

قد كنتُ مثلَ الطائرِ المحبوسِ في   قَفَصٍ، ومثلَ النجمِ خلفَ ضبابِ

يمتــدُّ في جُــنْحِ الظــلامِ تــأَوُّهي   ويطــولُ في أُذْنِ الزمــانِ عتــابي

وأَهــزُّ أَقلامــي فترشــحُ حــدَّةً   وأَسـىً، وَيَنْـدى بالـدموعِ كتـابي

حتــى لقيــتكمُ فِبِــتُّ كــأَنني   لـسرَّتي استرجعتُ عـصرَ شـبابي

لـيسَ التعبُّـدُ أَنْ تبيتَ على الطَّوى   وتــروحَ في خِــرَقٍ مِــنَ الأَثــوابِ

لكنـــهُ إنقـــاذُ نفـــسِ معـــذَبٍ مـــن رِبْقَـــةِ الآلامِ والأوصـــابِ

لـــيسَ التعبُّـــدُ عزلـــةً وتنـــسكاً في الـديرِ أَو في القفـرِ أَو في الغـابِ

لكنـــهُ ضَـــبْطُ الهـــوى في عـــالمٍ فيـــهِ الغوايـــةُ جمَّـــةُ الأَســـبابِ

وحبائـــلُ الـــشيطانِ في جنباتِـــهِ والمـــالُ فيـــهِ أَعظـــمُ الأَربـــابِ

هـــذا هـــو الـــرأيُ الـــصوابُ وغـــيرُهُ مهمـا حـلا للنـاسِ غـيرُ صـوابِ

ابسمي

إِبــسمي كــالوردِ في فجــر الــصباءْ　　وابـسمي كـالنجمِ إنْ جُـنَّ المساءْ

وإذا مــا كفَّــنَ الــثلجُ الثــرى　　وإذا مــا سَــتَرَ الغــيمُ الــسماءْ

وتعــرَّى الــروضُ مــن أَزهــارِهِ　　وتــوارى النــورُ في كهـفِ الـشتاءْ

فــاحلمي بالــصَّيْفِ ثــم ابتــسمي　　تخلقــي حولَــكِ زَهْــراً وشــذاء

وإذا ســرَّ نفوســاً أنَّهــا　　تُحـسنُ الأَخـذَ فـسُرّي بالعطـاءْ

وإذا أَعيــاكِ أَنْ تُعطــي الغنــى　　فــافرحي اَنَّــكِ تُعطـينَ الرجـاءْ

متى يذكر الوطن النوم

جلستُ وقد هَجَعَ الغافلونْ أُفكِّرُ في أمسنا والغدِ

وكيفَ استبدَّ بنا الظالمونْ وجاروا على الشيخِ والأمردِ

فخلتُ اللواعجَ بين الجفونْ وأَنَّ جهنمَ في مرقدي

وضاقَ الفُؤادُ بما يكتمُ فأَرسلتِ العينُ مدرارَها

*

ذكرتُ الحروبَ وويلاتِها وما صَنَعَ السيفُ والمدفعُ

وكيفَ تجورُ على ذاتِها شعوبٌ لها الرتبةُ الأرفعُ

وتخضبُ بالدمِ راياتِها وكانتْ تذمُّ الذي تصنعُ

فباتتْ بما شيدتْ تهدمُ صروحَ العلومِ وأسرارَها

*

نساءٌ تجودُ بأَولادِهَا على الموتِ، والموتُ لا يَرْحَمُ

وَجندٌ تجودُ بأكبادِهَا على الأرضِ، والأرضُ لا تعلمُ

وتغـــــدو الطيــــورُ بأجـــــسادِهَا فـــإنْ عطـــشتْ فالـــشرابُ الـــدمُ

وفي كـــــــلِّ منزلـــــــةٍ مـــــأتمُ تـــشقُ بهـــا الغـــدُ أزرارَهـــا

*

لقـــد شَـــبِعَ الـــذئبُ والأجـــدلُ وأَقفـــــرتِ الـــــدورُ والأرْبُـــــعُ

فكـــم يقتـــلُ الجحفـــلَ الجحفـــلُ ويفتـــــــكُ بـــــــالأروعِ الأروعُ

ولـــنْ يُرْجِـــعَ القتـــلُ مـــن قُتّلـــوا ولـــنْ يـــستعيدَ الـــذي ضـــيعوا

فبـــئسَ الأُلى بـــالوغى علمـــوا وبـــئسَ الألى أجَّجـــوا نارَهـــا

*

أَمِـــنْ أَجـــلِ أَنْ يـــسلمَ الواحـــدُ تُطَـــلُّ الـــدماءُ وتفنـــى الأُلـــوفْ؟

ويـــــــــزرعُ أولادَهُ الوالـــــــــدُ لتحـــصدَهُمْ شـــفراتُ الـــسيوفْ؟

أَمـــــورٌ يحـــــارُ بهـــــا الناقـــــدُ وتُـــدمي فـــؤادَ اللبيـــبِ الحـــصيفْ

فيـــا ليـــتَ شِـــعْري متـــى يفهـــمُ معــــاني الحيــــاةِ وأَســــرارَهَا

*

وحوَّلــــتُ طـــــرفي إلى المـــــشرقِ فلـــم أرَ غـــيرَ جبـــالِ الغيـــومْ

تحـــولُ علـــى بـــدره المـــشرقِ كما اجتمعتْ حولَ نفسي الغمومْ

فأَســــندتُ رأســــي إلى مرفقــــي وقلـــتُ، وقـــد غَلَبَـــتْني الهمـــومْ

بريَـــــكِ، أيتهـــا الأَنجـــــمُ متـــى تَـضَعِ الحــربُ أوزارَهــا ؟

*

كمـا يُقتـلُ الطـيرُ في الجنـةِ ويقتـنصُ الظـبيُ في السبـسبِ

كـذلكَ يُجنـى علـى أمـتي بـلا سـببٍ وبـلا موجـبِ

فحتَّـامَ تُؤخَـذُ بـالقوةِ ويقتـصُّ منهـا، ولم تُـذنبِ؟

وكـمْ تـستكينُ وتستـسلمُ وقـد بَلَـغَ الـسيلُ زنارَّهـا

*

وسـيقتْ إلى النِّطْـعِ سـوقَ الغَـنَمْ مغاورهـا ورجـالُ الأدبْ

وكـل امـرئٍ لم يمـتْ بالخَـدَمْ فقـد قتلـوهُ بـسيفِ الـسَغَبْ

فمـا حـرَّكَ الـضيمُ فيهـا الـشِمَمْ ولا رؤيـةُ الـدمِ فيهـا الغـضبْ

تبـدّلتِ النـاسُ والأَنجـمُ ولمـا تُبَـدِّلُ أطوارَهـا

*

أَرى الليـثَ يـدفعُ عـن غيـضتِهْ بأنيابِـهِ وبأظفـارِهِ

ويجتمـعُ النمـلُ في قريتِـهْ إذا خـشيَ الغـدرَ مـن جـارِهِ

ويخـشى الهـزارُ علـى وكنتِـهْ فيـدفعُ عنهـا بمنقـارِهِ

فـلا الكاسـراتُ ولا الـضيغمُ ولا الـشاةُ تَمْـدحُ جزَّارَهـا

*

عجبــتُ مـــن الـــضاحكِ اللاعـــبِ   وأهلـــوهِ بـــين القنـــا والـــسيوفْ

يبيتــــــونَ في وَجَـــــلٍ ناصـــــبِ   فــإن نَــصَبوا أُلجئــوا للكهــوفْ

وممـــــــنْ يـــــصفقُّ للـــــضاربِ   وأَحبابُــــهُ يجرعـــونَ الحتـــوفْ

متـــى يـــذكرُ الـــوطنَ النَّـــومُ   كمـا تـذكرُ الطـيرُ أوكارَهـا؟

أهلها عرب

أقَــــــاحٌ ذَاكَ أَم شَــــــنبُ　　　ورِيـــــــقٌ ذاكَ أَم ضَــــــرَبُ

ووَجْــــــــهٌ ذاكَ أَمْ قمــــــرٌ　　　وخَـــــــدٌ ذاكَ أَم ذَهـــــــبُ

جَمـــــالٌ غَـــــيرُ مُكتـــــسَبٍ　　　وَبعـــضُ الحُـــسن يُكتـــسبُ

ثَكِلْـــتِ الظـــرفَ، عَـــاذلتي　　　أهـــذا الحُـــسنُ يُجتَنَـــبُ؟

عَـــدَدْت لهـــا العيـــوبَ وليـــ　-　ـــسَ إلاَّ الظـــرفُ والأدبُ

فتـــــاةٌ بَـــين مَبـــسَمها　　　وبـــينَ عُقودِهَـــا نَـــسَبُ

لوَاحِظُهـــا نَمتهـــا الهِنـــدُ　　　لكـــنْ أهلُهـــا عَـــرَبُ

مُرنَّحــــــةٌ إذا خَطَـــــرَتْ　　　رأيـــتَ الغُـــصنَ يـــضطَرِبُ

مَـــــشَتْ وَوَنَـــتْ رَوادِفُهـــا　　　فَكَـــادَ الخَـــصْرُ يَنقَـــضِبُ

يُــــــسَرُّ العَــــــاذِلونَ إذا　　　نـــأَتْ ويعـــودُني الوَصَـــبُ

ويَـــــصطَخِبُونَ إنْ قَرُبَـــــتْ　　　وَعِنـــدي يَحـــسُنُ الطَّـــرَبُ

فـــأبكي كلَّمـــا ضَـــحكوا　　　وأَضْـــحَكُ كُلَّمـــا غَـــضِبوا!

بنت الفرقدين

أَزورُ فَتُقْصيني وأَنأى فتعتبُ ... وأُوهم أني مذنبٌ حين تغضبُ

وأَرجو التلاقي كلّما بخلتْ بهِ ... كذلكَ يُرجى البرقُ والبرقُ خُلَّبُ

وأَعجبُ من لاحٍ يُطيلُ ملاَمتي ... ويعجبُ مني عاذلي حين أَعجبُ

هو البخلُ طَبْعٌ في الرجالِ مُذَمَّمٌ ... ولكنَّهُ في الغيدِ شيءٌ مُحبَّبُ

كلفتُ بها بيضاءَ سكرى من الصِّبا ... وما شربتْ خمراً ولا هي تشربُ

لها الدرُّ ثغرٌ واللجينُ ترائبٌ ... وشمسُ الضُّحى أُمٌّ وبدرُ الدُّجى أَبُ

خليليَ أَما خدُّها فموَرَّدُ ... حياء وأما ثغرها فهو أشنبُ

لَئِنْ فرقَّتْ بينَ الغواني جمالَها ... لدامَ لها ما يجعلُ الغيدَ تغضبُ

ولو أَن رهبانَ الصوامعِ أَبصروا ... ملاَحَتَها واللهِ لم يترهَّبوا

تُكلِّفــني في الحــبِّ مــا لا أُطيقــهُ ... وتــضحكُ إمــا جئتهــا أَتعتَّــبُ

أَفــاتنتي حــسبُ المتــيَّمِ مــا بِــهِ ... وحــسبُكِ أَنــي دونَ ذنــبٍ أُعــذَّبُ

أُحبــكِ حــبَّ النــازِحِ الفــردِ أَهلــهُ ... فهل منكِ حبُ الأَهلِ من يتغرَّبُ؟

وهبتُــكِ قلبي واستعضتُ به الأَسى ... وهبتُكِ شيئاً في الورى ليسَ يوهبُ

فــإنْ يَــكُ وصــلٌ فهــوَ مــا أَتطلَّــبُ ... وإن يَــكُ بُعْــدٌ فالمنيَّــةُ أَقــربُ

أنا

حـــرّ ومـــذهبُ كـــلِّ حـــر مـــذهبي
ما كنتُ بالغاوي ولا المتعصبِ

إنــي لأَغــضبُ للكــريمِ ينوشُــهُ
مَـن دونـهُ وأَلـومُ مـن لم يغـضبِ

وأحــبُّ كــلَّ مهــذبٍ ولــو انَّــهُ
خصمي، وأَرحم كلَّ غيرِ مهذبِ

يــأبى فــؤادي أن يميــلَ إلى الأذى
حـبُّ الأذيـةِ مـن طِبـاعِ العقـربِ

لــي أن أَردَّ مــساءةً بمــساءةٍ
لـو أنـني أَرضـى بـبرقٍ خُلَّـبِ

حــسبُ المــسيءِ شــعورُهُ ومقالُــهُ
في سـرّه: يـا لَيْـتَني لم أذنـبِ

*

أَنـا لا تغـشُّني الطيـالسُ والحلـى
كم في الطيالسِ من سقيمٍ أَجربِ؟

عينـاكَ مـن أثوابِـهِ في جنَّـةٍ
ويـداكَ مـن أَخلاقـهِ في سبـسبِ

وإذا بـصرتَ بـهِ بـصرتَ بـأشمطٍ
وإذا تحدثـهُ تكـشَّفَ عـن صـبي

إنــي إذا نــزلَ الــبلاءُ بــصاحبي
دافعـتُ عنـه بناجـذي وبمخلـبي

وشـــددتُ ســـاعِدهُ الـــضعيفَ بـــساعدي

وســـــترتُ منكبـــــهُ العـــــريَّ بمـــــنكبي

وأَرى مـــــساوئَهُ كـــــأَنيَ لا أرى   وأرى محاســـنهُ وإنْ لم تُكتَـــــبِ

وأَلـــومُ نفـــسي قبلـــهُ إن أخطَـــأتْ   وإذا أَســـاءَ إلـــيَّ لم أَتعتَّـــــبِ

متقـرّبٌ مـن صـاحبي فـإذا مَـشَتْ   في عطفـــهِ الغلـــواءُ لم أَتقـــربِ

أنـا مـن ضـميري سـاكنٌ في معقـلٍ   أَنـا مـن خلالـي سـائرٌ في موكـبِ

فـــإذا رآنـــي ذو الغبـــاوةِ دونَـــهُ   فكمـا تـرى في المـاءِ ظـلَّ الكوكـبِ

أنا والنجم

مثلـــيَ هـــذا الـــنجمُ في ســـهدِهِ ومثلُــــهُ المحبــــوبُ في بعــــدِهِ

يختــالُ في عَــرْضِ الــسَّما تائهــاً كأنمــــا يختـــــالُ في بُـــــرْدِهِ

إن شـــئتَ فهـــو المَلــكُ في عَرْشِــهِ أَو شِــئْتَ فهـــو الطِّفــلُ في مهــدِهِ

يَـــرمقني شَـــذَراً كـــأني بـــهِ يَحْـــسَبُني أَطمـــعُ في مجـــدِهِ

يَـــسْعى ولا يَـــسْعى إلى غايـــةٍ كَمَـــنْ يَـــرَى الغايـــةَ في جـــدِّهِ

كأنَّمـــا يبحـــثُ عـــن ضـــائعٍ لا يـــستطيعُ الـــصَّبْرَ مـــن بعــدِهِ

طـــالَ سُـــراهُ وهـــو في حَيْـــرَةٍ كأنَّـــــهُ المحـــــزونُ في وجـــــدِهِ

في جُـــنْحِ ليـــلٍ حالـــكٍ فـــاحمٍ كـــأنَّ حظـــيَ قُـــدَّ مـــن جلـــدِهِ

لا يَحْـــسُدُ الأعمـــى بـــه مُبـــصراً كلاهمـــا قـــد ضَـــلَّ عـــن قـــصدِهِ

ســــــاورني الهَـــــمُّ وســــــاورتُهُ مـــا أَعجـــزَ الإنـــسانَ عـــن ردِّهِ!

مـــا أَعجـــبَ الـــدَّهرَ وأَطـــوارَهُ في عَـــيْنِ مـــن يمعـــنُ في نقـــدِهِ؟

جرَّبتـــهُ دهـــراً فمـــا راقـــني مِـــنْ هزلِـــهِ شـــيءٌ ولا جـــدِّهِ

أَكــــبرَ منـــه أنــــني زاهـــدٌ مـــا زَهِـــدَ الزاهـــدُ في زُهْـــدِهِ

أَكـــبرَ مـــني ذا وأَكـــبرتُ أَن يطمـــعَ، أَن أَطمـــعَ في رفـــدِهِ

وَعَـــدَّني أُعجوبـــةً في الـــوَرَى مـذ رُحْـتُ لا أَعجـبُ مـن حقـدِهِ

يـا رُبَّ خـلٍّ كـانَ دونـي نُهـىً عَجبْـتُ مـن نَحسي ومـن سَعْدِهِ

وعـائشٍ يخطـرُ فـوقَ الثَّـرَى أَفـضلُ منـهُ المَيْـتُ في لحـدِهِ

أَصبحَ يجني الـوَرْدَ مـن شوكِهِ وبـتُّ أَجـني الـشَّوْكَ مـن وردِهِ

أْكـذبُ إنْ صـدَّقتُهُ بعـدما عَرفْـتُ منـهُ الكـذبَ في وعـدِهِ

لا أَشـتكي الـضرَّ إذا مـسَّني منـهُ، ولا أَطـربُ مـن رغـدِهِ

أعلـمُ أن البـؤْسَ مُـسْتَنفَدٌ والرَّغْـدُ مـا لا بُـدَّ مـن فقـدِهِ

إذا الليـالي قرَّبَـتْ نازحـاً وكنـتَ مُـشتاقاً إلى شـهدِهِ

أُملِّـكُ عنـهُ الـنفسَ في قُربِـهِ خوفـاً مـنَ الوحْـشَةِ في صـدِّهِ

وإنْ أرَ الحـزنَ علـى فائـتٍ أضـرَّ بـي الحـزنُ ولم يُجْـدِهِ

أنا وهي

جلَسْتُ إليها والترامُ بنا يعدو ... إلى حيثُ لا واشٍ هناكَ ولا ضدُّ

قد انتظمتْ هذي القطاراتُ في الثُّرَى ... كأنَّ الثَّرَى جيدٌ وتلكَ لها عَقْدُ

بلى، هيَ عَقْدٌ بل عقودٌ، ألا ترى ... على الأرضِ أسلاكاً تدورُ فتمتدُّ؟

يَسيرُ فَيَطْوي الأَرضَ طياً كأَنَّما ... دو اليبُهُ أَيدٍ، كأنَّ الثَّرَى بُرْدُ

فكالطودِ إلاَّ أَنَّ ذَيَّاكَ ثابتٌ ... وكالريحِ إلاَّ أنَّ هاتِيكَ لا تبدو

تَوَهَّمْتُهُ من سُرْعَةِ السَّيْرِ راكداً ... وأَنَّ الدُّنى فيمنْ علَى ظَهْرِهَا تعدو

تحومُ عليهِ المركباتُ كأنَّهُ ... مليكٌ وتلكَ المركباتُ لَهُ جُنْدُ

تُقَصِّرُ عنهُ الرِّيحُ إما تَسَابقا ... فكيفَ تُجاريهِ المطَّهمةُ الجُرْدُ؟

على أنه في كفِّ عبدٍ زمامُهُ ... فيا مَنْ رأَى مَلِكاً يُصَرِّفُهُ عَبْدُ

كأَني بهِ، يا صاحِ، دارَ ضيافةٍ ... يُغادِرُهُ وَفْدٌ ويَقصِدُهُ وَفْدُ

خَلَوْتُ بمن أَهوى بهِ رُغْمَ عاذلي ... وَلَمْ يكُ غيرُ القربِ لي ولها قَصْدُ

فسارَ بنا في الأرض وَخْداً كأنَّما ... دَرَى أنَّ ما نَبْغيهِ منهُ هُوَ الوَخْدُ

فمـــــا راعـــــني واللّهِ إلاّ وقوفُـــــهُ		فقد كنتُ أَخشى أَنْ يفاجئنا وَغْدُ

ولمـــا انتهـــى مـــن سَـــيْرِهِ وإذا بنـــا		على شاطئِ البَحْرِ الذي ما لَهُ حدْ

هُنـــاكَ وَقَفْنـــا والـــشِّفاهُ صَـــوَامِتٌ		كـأنَّ بنـا عِيّـاً ولـيسَ بنـا وَجْـدُ

سَـــكَتْنا ولكـــنَّ العيـــونَ نواطـــقٌ		أَرقُّ حـديثٍ مـا العيونُ بـهِ تَـشْدو

سَـــــكِرْنا ولا خمـــــرٌ ولكنَّـــــهُ الهَـــــوَى
إذا اشـــتدَّ في قَلْـــبِ امـــرئٍ ضَـــعُفَ الرشـــدُ

فقالـــتْ وفي أجفانِهـــا الـــدمعُ جائـــلٌ		وقد عـادَ مُصْفَرّاً على خدِّها الوَرْدُ

ألا حبَّـذا، يـا صـاحبي، المـوتُ ههنـا		إذا لم يَكُـنْ مـن تَـذَوَّقِ الـرَّدى بُـدُّ

فيـــا لـــكَ مـــن فكـــرٍ مُخيـــفٍ وهائـــلٍ		ويـا لـكَ مـن مـرأى يَـرُقُّ لَـهُ الـصَّلْدُ

فقلـــتُ لهـــا إنـــي محـــبٌ لكـــلِّ مـــا		تُحـبينَ، إن الـسمَّ منـكِ هُـوَ الـشُّهْدُ

فقالـتْ أَمـن أَجلـي تَحِـنُّ إلى الـردى؟		دَعِ الهَـزْلَ إنَّ المـرءَ حليتُـهُ الجِـدُ

فقلـتُ لهـا لـو كنـتُ في الخلـد راتعـاً		ولـست معـي والله مـا سـرَّني الخلـد

فـإن لَـمْ يَكُـنْ مَهْـدٌ إليـك يـضمُّني		فيـا حبَّذا، يـا هنـدُ، لـو ضمَّنا لَحْدُ

فقالـــتْ لَعَمْـــرِ الحـــقِّ إنـــكَ صـــادقٌ		فـــدُمْتَ علـــى وُدٍّ ودامَ لَـــكَ الـــودُّ

فلـو لم أَكـنْ مـن قبـلُ أَعشقُ حُـسْنَهَا		لهمـتُ بهـا واللهِ حـسبيَ مـن بَعْـدُ

الناسكة

أبـــــصرتُ في الحقـــــلِ قُبَيْـــــلَ المغيـــــبْ

ســــــنبلةً في سَـــــــفْحِ ذاكَ الكثيـــــــبْ

حانيـــــةً مطرقـــــة الـــــرأسِ   كأنمـــــا تـــــسجد للـــــشمسِ

أو أنهـــــا تتلـــــو صـــــلاةَ المـــــساءْ

***

فملـــــــتُ عـــــــن راهبـــــةِ الحقـــــلِ

وســـــرتُ لا أُلـــــوي علـــــى ظلّـــــي

ألـــــتقط الحـــــبَّ وأَذريـــــهِ   وتـــــارةً في النـــــارِ أُلقيـــــه

مـــــستخرجاً منـــــه لجـــــسمي غـــــذاءْ

***

قــــــد غابــــــتِ الــــــشمسُ وراءَ القِمَــــــمْ

وســـــــكتَ الطـــــــيرُ الــــــذي لم يَـــــنَمْ

لكــــنَّ نــــاري لم تـــزلْ تَـــرْعجُ   ولم أزلْ آكـــــلُ مـــــا تُنْــــضجُ

يـــــا حبــــذا النــــــارُ ونعـــــمَ الـــــشواءْ

***

وإنــــــــني ﴿ مرَحـــــــــي والــــــــدَّدِ

إذ صـــــاحَ بـــــي صـــــوتٌ بـــــلا موعـــــدِ

مــا الحــبُّ، يــا هــذا، ولا الــسنبلُ   مـــا تأكـــلُ النـــارُ ومـــا تأكـــلُ

وإنمــــــــا أســــــــلافكَ الأصـــــــــفياءْ

***

لا بَــــــــشَرٌ، لا طـــــــــــائرٌ ماثــــــــلُ

يـــــا عجبـــــا! نُطْــــــقٌ ولا قائـــــلٌ

مـــن أيـــنَ جـــاءَ الـــصوتُ؟ لا أدري   لكنَّمـــــا ناســـــكةُ الـــــبرِّ

قــــــد رفَعــــــتْ هامتهـــــا للعــــــلاءْ

في القفر

سئمتْ نفسي الحياةَ مَعَ الناسِ، ومَلَّتْ حتى مِنَ الأَحبابِ

وتمشتْ فيها المَلالةُ حتى ضجرتْ من طعامهمْ والشرابِ

وَمِنَ الكذبِ لابساً بَردةَ الصدقِ، وهذا مسربلاً بالكذابِ

ومنَ القُبحِ في نقابٍ جميل ومنَ الحسنِ تحتَ ألفِ نِقابِ

ومنَ العابدينَ كلَّ إلهٍ ومنَ الكافرينَ بالأربابِ

ومنَ الواقفينَ كالأَنصابِ ومنَ الساجدينَ للأنصابِ

ومنَ الراكبينَ خَيْلَ المعالي ومنَ الراكبينَ خيلَ التصابي

والأُلى يصمتونَ صمتَ الأفاعي والأُلى يهزجونَ هَزْجَ الذبابِ

صغرتْ حكمةُ الشيوخِ لديها واستخفَّتْ بكلِّ ما للشبابِ

قالتِ اخرُجْ من المدينةِ للقفرِ ففيهِ النجاةُ من أَوصابي

وَلْيَكُ الليلُ راهبي، وشموعي الشهبُ، والأرضُ كلها محرابي

وكتابي الفضاءُ أَقرأُ فيهِ   سُوَراً ما قرأتُها في كتابِ

وصلاتي الذي تقولُ السواقي   وغنائي صوتُ الصِّبَا في الغابِ

وكؤوسي الأَوراقُ أَلقتْ عليها   الشمسُ ذَوْبَ النُّضارِ عندَ الغيابِ

ورحيقي ما سالَ من مُقلةِ الفجرِ   على العشْبِ كاللُّجينِ المُذابِ

كلَّما عدَّ مالهُ مطمئناً   أبصرَ الفقرَ واقفاً بالبابِ

وإلى الصاحبِ المراوغِ وجهاً   أسوداً حالكاً كوجهِ الغرابِ

فإذا لاحَ فرّتِ الناسُ ذعراً   من طريقِ المنافقِ الكذَّابِ

وإلى المؤمنينَ شيئاً من الشكِّ   وبعضَ الإيمانِ للمرتابِ

وإلى مَنْ يسبُّني في غيابي   شرفاً كي يصونهُ من سبابي

وإلى حاسديَّ عمراً طويلاً   ليدومَ الأَسى بهمْ مما بي

وإلى الحقلِ زهرهُ وحلاهُ   من ندىً لامعٍ ومن أعشابِ

فقبيحٌ أن نرتدي الحللَ القُشـ   ـبَ وتبقى الرُّبى بغيرِ ثيابِ

لم يكنْ لي الذي أردتُ فحسبي   أَنني بالمنى ملأتُ وِطَابي

ولو أَنَّ الزمانَ صاحبُ عقلٍ   كنتُ أُهدي إلى الزمانِ عتابي

السيد المجتبى[1]

سَـــلامٌ عَلـــى الــسيدِ المُجتَبَـــى | كَقَطــر الغَمــامِ ونَــشرِ الكبَــا
وَيـــا مَرحَبَـــا بـــأميرِ الـــسَّلام | وَقَـــلَّ لَـــهُ قولُنـــا مَرحَبـــا
قُـــدومُكَ بَـــدَّدَ عَنَّـــا الأَسَـــى | كمــا يَكــشفُ القَمَــرُ الغَيهَبــا
وَأحيـــا المُنـــى فِي فُـــؤادِ الفتـــى | وَرَدَّ إلى الــشَّيخ عَهــدَ الــصِّبى
كـــأني "بأيَّـــارَ" خَـــير الـــشُّهور | أتـــاهُ البَـــشيرُ بـــذاكَ النَّبـــا
فوشَّـى الرِّيــاضَ، وَحَلَّــى الحُقُــولَ، | وَزَانَ الوهـــــادَ، وَزَانَ الرُّبـــــى
وَقـــالَ لأغـــصانِهِ صَـــفِّقي | وللطَّــير فِي الأَرضِ أَن تخطُبـــا
وللنَّـــسماتِ تجـــوبُ الـــبِلادَ | وَتملأُهـــــا أَرَجـــــاً طَيِّبـــــا
وَرَنَّـــتْ بـــأُذني أغاريـــدُها | فَقُلـــتُ لكفِّـــيَ أَن تَكتُبـــا
فهــذا القَــريضُ حَفيــفُ الغــصُونِ | وَشَــدْوُ الطُّيــور، ونَفــحُ الــصِّبا

*

---

١ - ألقاها في المأدبة الكبرى التي أقيمت لسيادته بعد حفلة السيامة في نزل سانت جورج في بروكلن نيويورك.

طَلَعــــتَ فَطَـــالَ خُفُــوقُ الفُـــؤادِ كـــأنَّ بــــهِ هِــــزَّةَ الكهربـــا

وَلَـــيسَ بــــهِ هِــــزَّةُ الكهربـــاء ولكـــنْ رأى التَّائــهُ الكوكبـــا

وَأَلقَـــــتْ إليــــكَ مقاليـــــدَها نُفُـــوسٌ تخيَّـــرَتِ الأَنـــسَبا

فيـــا صَـــاحِبَ الـــشِّيَمِ البـــاهِرَات ويَـــا مَـــنْ تُحـــلُّ لديـــهِ الحُبـــا

تَقَـــوَّلَ عَنـــك صِــغارُ النُّفـــوسِ لأمْـــرٍ فمــــا أدرَكــــوا مَأرَبـــا

ومَـــنْ يَـــسْلُبُ الـــشَّمسَ أَنوارَهَـــا وَمَـــن ذا الــذي يُمـسِكُ الـصِّبّا ؟

فأَحـــسِنْ إلَـــيهمْ وإن أَخطَـــأوا وكـن كالحيـا يُمطِـرُ السَّبـسَبا

إذا لم تُـــسامِحْ وَأَنْـــتَ الكَـــريمُ فَمَـــن ذا الّـــذي يَــرحَمُ المُــذنِبا ؟

*

لَقَـــد طَـــرِبَ التَّـــاجُ والــصَّولَجانُ وَحُـــــقَّ لهــــذين أن يَطرَبـــــا

فـــــإنْ هَنَّــــأُوكَ بمــــا نِلتَـــــهُ فَـــإني أُهنِّــــي بــــكَ المَنـــصبا

أيها القلم

مــاذا جنيــتَ علــيهمْ، أيهــا القَلَــمُ — واللّهِ مـا فيـكَ إلا النُّـصْحُ والحِكَـمُ

إنــي ليحــزنني أن يــسجنوكَ وهــم — لولاكَ فيْ الأرضِ لم تثبتْ لهم قَدَمُ

خلقتَ حراً كَمَوْجِ البَحْرِ مندفعاً — فما القيودُ وما الأصفادُ واللجمُ؟

إن يحبسوا الطائرَ المحكيَّ في قَفَصٍ — فليسَ يُحْبِسُ منه الصوتُ والنَّغَمُ

ألله فيْ أمــةٍ جــارَ الزمــانُ بهــا — يفنـى الزمـانُ ولا يفنـى لهـا ألمُ

كأنمــا خــصَّها بالــذُّلِّ بارئُهَــا — أو أقسم الدهرُ لا يعلو لها عَلَمُ

مهضومةُ الحقِّ لا ذنبَ جَنَتْهُ سوى — أنَّ الحقـوقَ لـديها لـيسَ تنهـضمُ

مــرَّتْ عليهــا ســنونٌ كلُّهــا نِقَــمٌ — مـا كـانَ أسعدها لـو أنهـا نِعَمُ؟

عـدّوا شكايتها ظلمـاً ومـا ظلمـتْ — وإنمــا ظلموهــا بالــذي زعمــوا

مـا ضـرَّهمْ أنهـا باتـتْ تُـسائلُهُمْ أيـنَ المواثيـقُ، أيـن العهـد والقَسَمُ؟

أمـا كفـى أنَّ في آذانهـمْ صـمماً حتـى أرادوا بـأنْ ينتابهـا الـصَّمَمُ؟

كأنمـا سـئموا أن لا يـزالَ بهـا روحٌ على الدَّهْرِ لم يظفرْ بها السَّأمُ

فقيّـدوها لعـلّ القَيْـدَ يُـسكتها وعـزَّ أن يـسكتَ المظلـومُ لـو علمـوا

وأرهقـوا الـصحفَ والأَقـلامَ في زَمَـنٍ يكـادُ يعبـدُ فيـهِ الطـرسُ والقَلَـمُ

ان يمنعوا الصحفَ فينا بثَّ لوعتنا فكلُّنـا صـحفٌ في مـصرَ ترتـسمُ

إنَّـا لقـومٌ لنـا مجـدٌ سـنذكرُهُ مـا دامَ فينـا لـسانٌ نـاطقٌ وَفَـمُ

كيـفَ الـسبيلُ إلى سلوانِ رفعتنـا وهـيَ الـتي تتمنَّـى بعضَها الأُمـمُ؟

يـأبى لنـا العـزُّ أن نرضـى المذّلـةَ في عـصرٍ رأينـا بـهِ العبـدانَ تُحـترمُ

لَلموتُ أجملُ من عَيْشٍ على مضَضٍ إنَّ الحيـاةَ بـلا حريـةٍ عَـدَمُ

أنفس العشاق

بـــالأمسِ بـــادرني صـــديقٌ حـــائرُ يـــستفهمُ

أجهـــنمٌ نـــارٌ؟ كمـــا زَعَـــمَ الهـــداةُ وعلّمـــوا؟

أم زمهريـــرٌ قـــارسٌ قـــاسٍ وكـــونٌ مظلـــمُ؟

فأجبتـــهُ، مـــا الزمهريـــرُ ومـــا اللظـــى المتـــضرمُ

بجهـــــنمٍ!.. لكنمـــــا أَنْ لا تُحِـــــبَّ جهـــــنمُ

يـــا صـــاحبي، إنَّ الخَـــواءَ هـــو العـــذَابُ الأعظـــمُ

ألقلـــــبُ إلاَّ بالمحبـــــةِ منـــــزلٌ مـــــتردمُ

هـــيَ للجراحـــةِ مـــرهمٌ، هـــيَ للـــسعادةِ سـلَّمُ

هـــيَ في النجـــومِ تـــألقٌ، هـــيَ في الحيـــاةِ تـــرنُّمُ

هـــيَ أنفـــسُ العـــشاقِ في غَـــسَقِ الـــدُّجى تتبـــسمُ



إلى صديق

مَـا عَـزَّ مَـن لَـم يَـصحَبِ الخَـذِمَا ... فَـاحْطِمْ دَواتَـكَ، واكسرِ القَلَمـا[1]

وَارحَـــمْ صِـــباكَ الغَـــضَّ، إنَّهُـــمُ ... لا يَحمِلُـــونَ وتَحمِـــلُ الأَلَمـــا

كــم ذا تُنــاديهمْ وَقَــد هَجَعُــوا ... أحَـــسِبتَ أنَّـــكَ تُـــسمِعُ الرِّمَمـــا

مــــا قَـــامَ فِي آذانِهـــمْ صَـــمَمٌ ... وَكـــأنَّ فِي آذانِهـــمْ صَـــمَما

القَـــومُ حَـــاجَتُهمْ إلى هِمَـــمٍ ... أَو أنـــتَ ممَّـــنْ يَخلـــقُ الهِمَمـــا؟

تَـــاللّهِ لَـــو كُنـــتَ "ابـــنَ سَـــاعِدَةَ" ... أدَبـــاً "وحَـــاتمَ طَـــيِّءٍ" كرَمـــا

وَبَـــذَذْتَ "جَـــالينوسَ" حكمتـــه ... وَالعِلـــمَ "رِسْـــطَطَالِيسَ" وَالـــشِّيمَا

وَسَـــبقتَ "كولَمبـــوسَ" مكتـــشفاً ... وَشَـــأَوتَ "آديـــسونَ" مُعتَزِمـــا

فَـــسَلَبتَ هـــذا البَحـــرَ لُؤلُـــؤَهُ ... وَحَبَـــوتَهُمْ إيّـــاهُ مُنتَظَمـــا

وَكَـــشَفتَ أســـرارَ الوُجـــودِ لَهـــمْ ... وَجَعلـــتَ كـــلِّ مُبَعّـــدٍ أَمَمـــا

مَـــا كُنـــتَ فـــيهِمْ غَـــيرَ مُـــتَّهَمٍ ... إنـــي وَجَـــدتُ الحُـــرَّ مُتَّهَمـــا

---

١ - الخذم: السيف القاطع.

هَـانوا عَلـى الـدُّنيا فَـلاَ نِعَمـاً ... عَـرَفَتهُمُ الـدُّنيا وَلا نِقَمَـا

فَكَأنَّمـا في غَيرهَـا خُلِقُـوا ... وَكأنَّمـا قَـد آثـروا العَـدَما

أَو تَـراهُمْ، كُلَّمـا انتَـسَبوا ... نَـصَلُوا فـلا عُرباً ولا عَجَمـا

لَيسوا ذوي خَطَـرٍ وَقَـد زَعَمُـوا ... وَالغـربُ ذو خَطَـرٍ وَمـا زَعَمـا

مُتخـاذلينَ عَلـى جَهَـالَتِهِمْ ... إنَّ القَـويَّ يَهـونُ مُنقَـسِما

فـالبَحرُ يَعظُـمُ وهـو مُجتَمِـعُ ... وَتـراهُ أَهـوَنَ مـا يُـرى دِيمَـا

وَالـسُّورُ مَـا يَنفَـكُّ مُمتَنِعـاً ... فـإذا يُنـاكِرُ بَعـضَهُ انهـدَما

وَالـشَّعبُ لَـيسَ بنـاهِضٍ أبَـداً ... مَـا دامَ فيـهِ الخُلـفُ مُحتَكِمـا

يـا للأديـبِ وَمـا يُكابِـدُهُ ... في أُمَّـةٍ لا تُـشبْهُ الأُمَمـا

إنْ بـاحَ لم تَـسلَمْ كرامَتُـهُ ... والإثـمُ كـلُّ الإثـمِ إن كتَمـا

يَبكـي فَتَـضحَكُ مِنـهُ لاهِيـةً ... وَالجَهـلُ إن يبـكِ الحِجـى ابتَسَما

جَـاءتْ وَمـا شَـعَرَ الوُجـودُ بهـا ... وَلَـسوفَ تَمـضي وهـوَ مَـا عَلِمـا

سَـارَ الـشُّعوبُ إلى العُلَـى عَنَقـاً ... وَوَنَـت فَلَـم تَنقُـلْ لهـا قَـدَما[1]

مَـا أحـدَثَت في الـدَّهرِ طَارِقَـةً ... تبقـى، وَلَـيْسَ تَليـدُها عَلَمَـا

ضَـعُفَتْ فَـلا عَجَـبٌ إذا اهتُـضِمَتْ ... اللَّيـثُ، لـولا بأسُـهُ، اهتُـضما

---

١ - العنق: السير السريع.

فَلَقَـــدْ رَأيـــتُ الكـــونَ، سُـــنَّتُهْ كـالبَحرِ يأكـلُ حوتُـهُ البَلَمَـا[1]

لا يَـــرحَمُ المِقـــدامُ ذا خَـــوَرٍ أو يَـــرحَمُ الـــضِّرغَامَةُ الغَنَمَــا؟

*

يَـا صَـاحِبي، وَهَـواكَ يَجـذُبني حَتَّـى لأحـسَبُ بَينَنَـا رَحِمَـا

مَـا ضَـرَّنا، والـودُّ مُلتَـئِمٌ أَنْ لا يَكـونَ الـشَّملُ مُلتَئِمَـا

النَّـاسُ تَقـرأُ مَـا تُـسَطِّرُهُ حِـبراً، وَيَقـرَأُهُ أخـوكَ دَمَـا

فاسـتَبِق نَفـساً، غَـيرُ مُرجِعِهَـا عَـضُّ الأنامِـلِ بَعـدَهَا نَـدَمَا

مَـا أنـتَ مُبْـدِلُهمْ خَلائِقَهُـمْ حَتَّـى تَكـونَ الأرضُ وهـي سَـمَا

زارَتـكَ لم تَهتـكْ مَعانيهَـا غَـرَّاء يَهتِـكُ نورُهَـا الظُّلَمَـا

سَـبَقَتْ يَـدي فيهَـا هَواجِـسُهم وَنَطَقـتُ لَمَـا استَـصحَبُوا البُكُمَـا

فَـإذا تُقـاسُ إلى روائِعِهـمْ كانَـتْ رَوائِعُهُـمْ لَهـا خَـدَما

كـالرَّاحِ لَـمْ أرَ قَبـلَ سَـامِعِها سَـكرانَ، جِـدَّ الـسُّكر، مُحتـشِمَا

يَخـدُ القِفَـارَ بِهـا أخـو لَجَـبٍ ينـسي القِفَـار الأينُـق الرسمـا

أَقبَـسْتُهُ شَـوقي فأضـلُعُهُ كأضـالعي مملُـوءةٌ ضَـرَما

إنَّ الكواكـبَ في مَنازِلِهـا لـو شـئْتُ لاسـتَنزَلتُها كَلِمـا

---

١ - البلم: السمك الصغير.

كمنجة سامي الشوا

كمنجةَ "الشوَّا" عليكِ السلامْ ... بهيكلِ الوَحْيِ وَعَرْشِ الغرامْ

فيكِ التقتْ أرواحُ أهلِ الهوى ... نجوى وشكوى وبكا وابتسامْ

وأودعتْ فيكِ الصَّبا هَمْسَها ... وخبَّأ الأسرارَ فيكِ الظلامْ

وذابَ فيكِ الحبُّ ذَوْبَ الندى ... في مبسمِ الوردِ وجفنِ الخزامْ

رُدِّي إلينا اليومَ دنيا الرؤى ... فإنَّنا نَشقى بدنيا الحطامْ

أجنحةُ الأشواقِ مقصوصةٌ ... أو موثقاتٌ، والأماني رِمامْ

قَدِ انقضى العمرُ وأرواحُنا ... مفطومةٌ بالحرصِ ، بِئسَ الفطامْ

ننأى عن الحسنِ ونشتاقهُ ... ونهجرُ الماءَ ونشكو الأُوامْ

ويبعثُ الحقلُ إلينا الشَّذى ... ونحنُ لا ننشقُ إلاَّ الرَّغامْ

نسيرُ والأضواءُ من حولنا ... كأنَّنا في هَبْوَةٍ أو قَتَامْ

والماءُ يجري حولنا كوثراً ... ونحنُ نستسقي السحابَ الجهَامْ

ونسهرُ الليلَ لغيرِ الهوى ... ما تنفعُ اليقظةُ والقلبُ نامْ؟

حتى نَسَيْنَا كيفَ لونُ الضحى ... ولم نعدْ نذكرُ سجعَ الحمامْ

خـيرٌ مـن اليَقظَـةِ عنـدي الكَـرَى — إن كانـتِ الغبطـةُ بنـتَ المنـامْ

خِلْنـــا الهـــوى ترجِـــعُ أيّامـــهُ — لم يرجـــعِ الحـــبُّ ولا المـــالُ دامْ

فيـا فتـى "الـشهباء"، يـا شـاعراً، — قـد رَفَـعَ الفـنَّ لأسمـى مُقـامْ

رَجعـتَ بالـسحرِ وكـانَ انطـوى — وجئتنـا بـالوحيِ في غـيرِ جـامْ

هـذا عـصيرُ الـوحيِ في آلـةٍ — خرسـاءَ يجـري فِتَنـاً للأنـامْ

فـإن تَجِـدْنا حولهـا عُكَّفـاً — فالمنهـلُ العـذبُ كـثيرُ الزحـامْ

فدغـدغِ الأوتـارَ لا تكـترثْ — أنْ تـذهبَ الفتنـةُ بالاحتـشامْ

سـعادةُ الأَنفـسِ في نـشْوَةٍ — مـن صـورةٍ أو نَغَـمٍ أو مـدامْ

وقـلْ لمـن يحـذرُ أنْ يـشتكي — ويحـبسُ الـدمعَ لـئلاَّ يُـلامْ

اسمـعْ فهـذا وتـرٌ نـائحٌ — وانظـرْ فهـذا خـشبٌ مـستهامْ

*

نيويـوركَ! يـا ذاتَ الـبروجِ الـتي — سَمَتْ وطالـتْ كـي تَمـسَّ الغمـامْ

لـنْ تبلُغـي واللّهِ بـابَ الـسما — إلاَّ بأوتـارِ كنـارِ الـشآمْ

فاصـغي إلى ألحانـهِ لحظـةً — تحتقـري كـلَّ صـنوفِ الكـلامْ

وتـدركي أنَّ قـصورَ المنـى — تبقـى وتنهـدُّ قـصورُ الرِّجـامْ

فـرحِّبي مَعْنـا بـهِ واهتفـي: — هـذا أمـيرُ الفـنِّ، هـذا الإمـامْ!

لا يدرك الهرم النجوم

قصيدة بعث بها إلى صديقه
الشاعر المرحوم مسعود سماحة

يـــا شـــاعراً حلـــوَ المـــودَّةِ في الحـــضورِ وفي الغيـــابْ
شــــهدٌ ولاؤكَ والأنـــامُ ولاؤهُـــمْ شــــهدٌ وصـــابْ
أَنـا إن شـكوتُ إليـكَ منـكَ، وسـالَ في كُـتُبي العتـابْ
فحكـــايتي كحكايـــةِ الظمـــآنِ في قفـــرٍ يَبَـــابْ
لم يـــرْوِهِ لمـــعُ الـــسرابِ فـــراحَ يستـــسقي الـــسحابْ
فَهَمـــى، فكـــانَ الخـــيرُ فيـــهِ للأبـــاطحِ والهـــضابْ
"مـــسعودُ" أَهـــونْ بالمـــشيبِ فمـــا امّحـــى إلا الخـــضابْ
مـــاذا عليـــكَ مـــن الثلـــوجِ وفي ضـــلوعِكَ حَـــرُّ آبْ
الكـــأسُ أَجمـــلُ في النـــواظِرِ إذ يرصّـــعُها الحبـــابْ
إن شـــابَ منـــكَ المفرقـــانِ فَمـــا أَظـــنُّ القلـــبَ شـــابْ
لا تـــزعمنَّ لَـــهُ المتـــابَ فـــإنَّ توبَتَـــهُ كِـــذابْ

مــا زالَ يخفــقُ بــالهوى، ويفــيضُ بالــسحرِ العجــابْ

ويُريـــكَ دنيـــا لا تُحَـــدُّ، ومـــن ورائِـــكَ أَلـــفَ بـــابْ

دنيـــا مـــن اللـــذَّاتِ والأفـــراحِ في دنيـــا عـــذَابْ

ويُريـــكَ جنـــاتِ الجمـــالِ وأنـــتَ في الطلـــلِ الخـــرابْ

***

أفتـــى القـــوافي الـــشادياتِ كأنهـــا أَطيـــارُ غـــابْ

إنْ قيـلَ إنـكَ صـرتَ شـيخاً، قُـلْ أجـلْ شـيخُ الـشبابْ

أَتـــرى إذا العنـــوانُ ضـــاعَ يـــضيعُ مـــضمونُ الكتـــابْ

أَلـــسيفُ لـــيسَ يعيبـــهُ مـــشيُ الخلوقـــةِ في القـــرابْ

والخمـــرُ خمـــرٌ في إنـــاءٍ مـــن لُجَـــيْنٍ أو تـــرابْ

وحيـــاةُ مثلِـــكَ لـــيسَ تـــدخلُ في قيـــاسٍ أو حـــسابْ

فغـدٌ زمانـكَ مثـلُ أمـسٍ وإنْ مـضى عـصرُ الـشبابْ

لا يـــدركُ الهـــرمُ النجـــومَ وأَنـــتَ في الـــدنيا شـــهابْ

وإذا يعـــابُ علـــى المـــشيبِ فتـــىً فَمَـــنْ ذا لا يُعـــابْ

أَو كـــانَ يمـــدحُ بالـــسوادِ فَمَـــنْ تُـــرى مَـــدَحَ الغـــرابْ

***

يـــا نفحـــةً مـــن شـــاعرٍ أَرَجَ الكتـــابُ بهـــا وطـــابْ

الفجـــرُ أَهـــدى لـــيَ الـــسنا والـــروضُ أَهـــدى لـــيَ المـــلابْ

العليقة

ذاتُ شـــــوكٍ كـــــالحرابِ أو كأظفـــــارِ العقـــــابِ

ربــــضتْ في الغـــابِ كـــاللصِ، لِفَتْـــكٍ واســـتلابِ

تقطــــعُ الـــدَّربَ علـــى الفـــلاحِ والمـــولى المهـــابِ

صـــنتُ عنهـــا حُـــرَّ وجهـــي، فتـــصدَّت لثيـــابي

كلمـــا أَفلـــتُّ مـــن نـــابٍ تلقَّـــتْني بنـــابِ

فلـــها نهـــشُ الأَفـــاعي، ولهـــا لـــسعُ الـــذباب

وأَذاهـــا في ســـكوني، كأذاهـــا في اضـــطرابي

وهـــي كالقَيْـــدِ لـــساقي، ولجيـــدي كالـــسِّخابِ[1]

فكأنَّـــا في عنـــاقٍ، لا نـــضالٍ ووثـــابِ

***

---

١ - السخاب: قلادة من القرنفل ونحوه، ليس فيها لؤلؤ ولا جوهر.

قلـــتُ: يـــا ســـاكنةَ الغـــابِ، ويـــا بنـــتَ الـــترابِ

لا تَلجَّـــي في اجتـــذابي، أو فلجَّـــي في اجتـــذابي

إنّ عـــوداً فيـــه مـــاء لـــيسَ عـــوداً لاحتطـــابِ

أنـــا في فجـــرِ حيـــاتي، أنـــا في شَـــرْخِ شـــبابي

الهـــوى مـــلءُ فـــؤادي، والـــصبى مـــلءُ إهـــابي

والمنـــى تنبـــتُ في دربـــي وتمـــشي في رِكـــابي

أنـــا لم أَضـــجرْ مـــنَ العـــيشِ ولم أَملـــلْ صـــحابي

لم أَزلْ أَلمـــحُ طيـــفَ المجـــدِ حتـــى في الـــسرابِ

لم أَزلْ أستـــشعرُ اللـــذَّةَ حتـــى في العـــذابِ

لم أزلْ أستـــشرفُ الحـــسنَ ولـــو تحـــتَ نقـــابِ

***

مـــا بنفـــسي خـــشيةُ المـــوتِ ولا مِنْـــهُ ارتهـــابي

أنـــا لـــلأرضِ، وإنْ طـــالَ عـــن الأرضِ اغترابـــي

غـــير أنـــي لم يـــزلْ ضـــرعي لمـــريٍ واحـــتلابِ

لم أهَـــبْ كـــلَّ الـــذي عنـــدي، ولم يفـــرغْ وطـــابي

***

أنـــا نهـــرٌ لم أتّمـــم بعـــدُ في الأرضِ انـــسيابي

أنـــا روضٌ لم أُذعْ كـــلَّ عـــبيري وملابـــي

أنـــا نجـــمٌ لم يمـــزّق بعـــدُ جلبـــابَ الـــضبابِ

أنـــا فجـــرٌ لم تتـــوّجْ فـــضتي كـــلَّ الروابـــي

لـــي رغـــابٌ لم تلـــدْ بعـــدُ فَتَبْلـــى بالتبـــابِ؟

وبنفـــسي ألـــفُ معنـــى لم يُـــضمَّنْ في كتـــابِ

***

فـــإذا اســـتنفدتُ مـــا في دَنِّ نفـــسي مـــن شـــرابِ

وإذا أَنجـــمُ آمـــالي تـــوارتْ في الحجـــابِ

وإذا لم يَبْـــقَ في غيمـــيَ مـــاءٌ لانـــسكابِ

وإذا مـــا صـــرتُ كـــالعلّيقِ تمثـــالَ اكتئـــابِ

لا يُـــرجينيَ محتـــاجٌ، ولا يطمـــعُ ســـابِ

فاجـــذبيني... إنْ يكُـــنْ منّـــيَ نفـــعٌ للـــترابِ

بين الضحك واللعب

أَعْطَيْـــــــتُ مَـــــــن أعْـــــــشَقُها وَرْدَةً

مِـــــن بَعْـــــدِ أَنْ أَوْدَعْتُهـــــا قلـــــبي

فَجَعَلَـــــــتْ تَنثُـــــــر أَوْرَاقَهَـــــــا

بأنمُـــــلٍ كـــــالعَنَمِ الرَّطْـــــبِ

لا تَـــــسألوا العَاشـــــقَ عَـــــنْ قلبِـــــهِ

قَـــدْ ضـــاعَ بـــينَ الـــضّحكِ واللعْـــبِ

***

لَـــمْ أقطِـــفِ الـــوَرْدَةَ مِـــن غُـــصنِها

لَـــو لم تكـــنْ كالخَـــدِّ ‌في الاتقَـــادْ

وَلَـــــمْ تُمـــــزِّقْ هِنـــــدُ أوراقَهَـــــا

لَـــولا اشْـــتِباهُ بَيْنَهَـــا والفُـــؤاد!..

أنتم معي

في المَنـــــزِلِ المهجـــــورِ أذْكُــــــرُكُمْ

فَأخــــــالُني في جَنَّـــــــةِ الخُلـــــــدِ

أنـــــتُمْ مَعَـــــي في كـــــلّ آونـــــةٍ

والنَّـــــاسُ يحـــــسَبُ أنَّـــــني وَحْــــدي!

مصادر ومراجع الكتاب

- ديوان إيليا أبو ماضي (الأعمال الكاملة) دار العودة ـ بيروت.
- إيليا أبو ماضي بين التجديد والتقليد، طالب زكي طالب، منشورات المكتبة العصرية ـ صيدا بيروت ١٩٨١.
- مجدّدون ومجترون، مارون عبود، دار مارون عبود ودار الثقافة ـ بيروت ط /٥/ ١٩٧٩.
- الشعر العربي في المهجر ـ أمريكا الشمالية، د.إحسان عباس ود. محمد نجم، دار صادر ـ بيروت ١٩٥٧.
- أدب المغتربين، الياس قنصل، وزارة الثقافة ـ دمشق ١٩٦٣.
- الشعر العربي الحديث من أحمد شوقي إلى محمود درويش، د.ميشال خليل جحا، دار العودة ودار الثقافة ـ بيوت ١٩٩٩.
- شاعر وقصيدة، العماد مصطفى طلاس، المجلد الثاني، دار طلاس ـ دمشق ط/١٩٨٥/٢.
- قصة الأدب المهجري، محمد عبد المنعم خفاجي، ج١، دار الطباعة الأحمدية، القاهرة، دون ذكر سنة النشر.
- مجلة الغربال اللبنانية، العدد الثالث، ١٥ أيلول "سبتمبر" ١٩٦١، السنة الرابعة.
- مجلة الزهور القاهرية (المجلد الرابع) منشورات مكتبة الأسرة ـ القاهرة ٢٠٠٣.
- يحدثونك عن أنفسهم، هاني الخير، ج١، دمشق ١٩٨٣.
- الأرشيف الشخصي للكاتب هاني الخيِّر.

الفهرس


ISBN 978-9933-410-35-3
9 789933 410353 >